٢٨٤

HARLEQUIN

روايات احلام

أنتِ الثمن

هيلين بيانشين

www.elromancia.com
مرمرية

أنتِ الثمن

- لكل شيء ثمن، ألا توافقينني الرأي؟

- ما الذي تريده؟

- أريد طفلاً من صلبي يمكنني أن أورثه ثروتي. ومن أحسن لذلك من سليلة «آلبوا»؟

- هل أنت مجنون؟

إنها الاتفاقية التي عرضها ريف فالديز على دانييل التي وصلت أحوالها المادية إلى العدم وتكاد تطرد هي ووالدتها من شقتهما. فإما أن تقبل بهذا الزواج وإما أن تعاني مرارة الفقر والعوز.

أربع وعشرون ساعة من الجحيم هي المهلة التي حددها لها لتعطيه قرارها. فإما أن تربح كل شيء أو تخسر كل شيء. فهل سترضى بهذه المذلة أم ستواجهه بطبعها الشرس المعتاد؟

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١,٥ دينار	مصر: ٧ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-132-6

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Wedding Ultimatum
First published in Great Britain 2002
Harlequin Mills & Boon Limited
© Helen Bianchin 2002
Translation © Dar El-Farasha - 2003
ISBN 9953 - 15 - 132 - 6

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: ٨٢٥٤/ ١١ هاتف/ فاكس: ٩٦١-١-٤٥٠٩٥٠- بيروت - لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

هيلين بيانشين

ولدت هيلين في نيوزيلندا وسافرت إلى أستراليا قبل أن تتزوج من زوجها الإيطالي الأصل. بعد مضي ثلاث سنوات على زواجهما عادا برفقة ابنتهما إلى نيوزيلندا حيث أنجبا صبيّين. ثم عادت العائلة لتستقرّ في استراليا. شجّعها بعض الأصدقاء على الكتابة عن المواقف الطريفة التي واجهتها في الفترة التي عاشت فيها كزوجة صاحب مزرعة لانتاج التبغ، في مجتمع إيطالي. هكذا بدأت هيلين حياتها ككاتبة روائية وصدر كتابها الأول سنة ١٩٧٥.

تحب هيلين الحيوانات وتمتلك كلبة وهرّة يعتبران مكتبها ملعباً لهما.

تهوى المؤلفة الشهيرة هيلين بيانشين الكتابة عن التوتر العاطفي بين الأزواج بما فيه من شغف وصراع ورومنسية! وغالباً ما يكون الزواج موضوع قصصها!

١ ـ موعد مع الشيطان

ما الذي على المرأة أن تلبسه للذهاب إلى موعد مع الشيطان؟

ألقت دانييل عيناً خبيرة على ملابسها في الخزانة، وقررت شيئاً بعد تفكير، ومن ثم أخذت ترتدي ملابسها بعناية.

إنها تقيم مع أمها في جناح يقع في ضاحية برايتون الراقية في مالبورن، كان فسيحاً مترفاً يمثل صورة مصغرة عن حياة الطبقة الثرية.

لكن العيش برخاء لن يدوم طويلاً. وهذا مسجل على الجدار حيث اللوحات الثمينة قد بيعت، وحيث احتلت قطع الأثاث المستعملة مكان الأثاث الأثري الذي لا يقدّر بثمن. المجوهرات رهنت ثم بيعت بالمزاد العلني، وسيارة «سيدان» احتلت مكان السيارة «البنتلي» الحديثة الطراز، والدائنون ينتظرون لحظة إعلان الإفلاس رسمياً، لكي ينقضوا كأسماك القرش، فيعرضوا الشقة التي انتهت مدة رهنها في المزاد العلني. بطاقات الدائنين لدى أمها وصلت إلى السقف منذ زمن طويل، ومتجر الألبسة النسائية الداخلية الذي كانت شريكة فيه مع أمها «آربين» على وشك الإفلاس.. اعترفت دانييل بهذا وهي تضع في أذنيها قرطين ماسيين متوارثين في الأسرة كانا، يوماً ما، لجدة أبيها، وهما الحليتان الوحيدتان اللتان احتفظت دانييل بهما.

بعد أقل من أسبوع، عليهما أن تخرجا من بيتهما، حاملتين معهما ما ستسمح لهما به المحكمة من أمتعتهما الشخصية وسيكون عليهما البحث عن منزل متوسط الجودة تستأجرانه قرب المتجر، وبعد ذلك لا بد لهما من البحث عن عمل.

إنها في السابعة والعشرين وهي فقيرة جداً.. فكرت وهي تتناول حقيبة يدها المسائية وتتوجه نحو المصعد أن هذا الشعور غير حسن أبداً.

مضت سنة تقريباً على آخر مرة استضافتا فيها أصدقاء في منزلهما، والمناسبات الاجتماعية قد تقلصت إلى بعض الدعوات المجانية من أصدقاء قلائل بقوا على ولائهم لأرملة رجل محترم ذي قرابة بالأسرة الاسبانية الحاكمة.

واجتماع هذا المساء كان آخر التماس منها للرحمة من الرجل المالك للمبنى الذي يحتوي شقتهما، ولمجمع المتاجر الذي يحوي متجرهما. أما بقية أملاكه وعقاراته، فهذا غير مهم.

ريف ڤالديز شخص حديث نعمة بحسب السلم الاجتماعي. بهذا أخذت دانييل تفكر عندما وصلت إلى موقف السيارات في قبو المبنى، فهو قد جمع، ثروة قذرة تقريباً، كما تقول الإشاعات غير الدقيقة.

إنه في أواخر الثلاثينات من عمره، وقد عرف أنه سخي اليد عندما يتعلق الأمر بالأعمال الخيرية وأن لسانه لاذع وغضبه سريع وأنه يستعمل عطاءه للخير لكي يكون مدخلاً له إلى الطبقة الغنية والشهيرة في المجتمع.

هذه الطبقة من المجتمع التي لم تعد في متناول دانييل وآربين.

ومع ذلك، لم تستطع إلا أن تلحظ وجوده. ذلك أن صورته تزين أحياناً صفحات الصحف المحلية التي تتضمن أخبار دنيا الأعمال

والأخبار الاجتماعية، وفي كل مرة تظهر على الصفحات فتاة رائعة الجمال وقد تعلقت بذراعه، أو سيدة ذات مقام اجتماعي رفيع متلهفة إلى تغطية صحفية، أو أية امرأة شابة جذابة تناضل للحصول على انتباهه.

لقد قابلته دانييل مرة، منذ عام تقريباً، أثناء وليمة عشاء أقامتها صديقة مزعومة لم تكرر مثل هذه الدعوة بعد أن عرفت وضع آربين المالي.

حينذاك ألقت عليه نظرة واحدة اقتصرت بعدها على ابتسامة خفيفة وحديث اجتماعي مؤدب، لاجئة إلى غريزة حفظ الذات التي تدربت عليها في وقت مضى، لأن التعامل مع رجل من نوع ريف ڤالديز هو أشبه بالرقص مع الشيطان.

إنما الآن ليس لديها خيار. لقد استغرق منها ترتيب موعد معه أسابيع، والحقيقة أنه هو الذي ألحّ على أن يجتمعا على مائدة عشاء.

المطعم الذي ذكره لها يقع في قلب المدينة في شارع ضيق يحتوي على أكثر من خمسة متاجر تحتوي على مطاعم. ولم تر أي موقف للسيارات، فدارت حول المبنى آملة أن تجد مكاناً شاغراً.

النتيجة أنها تأخرت عشر دقائق وهي مدة يمكن أن يصفح عنها أي شخص إلا ريف ڤالديز.

رأته على الفور، متكئاً على مقصف صغير نصف دائري، وما إن ذكرت اسمها للنادل، حتى انتصب واقفاً وتقدم نحوها.

كان طويلاً أسمر خطراً، قد ورث تكوينه العظمي عن أجداده الأندلسيين. واشتبكت بعينيها عينان بسواد الخطيئة.. كهربائيتان مغناطيسيتان.

ارتجف قلبها لا إرادياً ثم تسارعت دقات قلبها. كان فيه شيء استنفرت له كل دفاعاتها...

ـ أرجو ألا تكون قد انتظرتني طويلاً.

ارتفع حاجبه الأسود قليلاً: «هل المفروض أن يكون هذا اعتذاراً؟».

جاء صوته عميقاً بطيئاً، فيه لكنة أميركية خفيفة ممزوجة بوحشية مكبوتة فيه توارت خلف مظهر زائف من التكلف والصقل... قسوة بدائية أثبتت مصداقية الإشاعة التي تقول إنه أمضى فترة فتوّته في شوارع شيكاغو الخلفية حيث البقاء للأقوى.

بادلته النظر دون أن يطرف لها جفن: «نعم، وإذا شئت تفسيراً لهذا، فهو أن توقيف السيارة كان صعباً للغاية».

ـ كان بإمكانك أن تستقلي تاكسي.

ـ لا، لا أستطيع.

ذلك أن ميزانيتها لم تكن تفسح مجالاً لأجرة تاكسي، وامرأة بمفردها لا تحب استعمال المواصلات العامة ليلاً.

رفع يده يشير إلى النادل الذي قادهما إلى مائدتهما ثم استدعى النادل بفرقعة من إصبعيه.

رفضت دانييل الحلوى، وطلبت مقبلات خفيفة.

ـ أنت تعلم سبب طلبي لهذا الاجتماع؟

تأملها بعناية، ناظراً إلى الكبرياء والشجاعة..

ـ لماذا لا تستريحين قليلاً وتستمتعين بالطعام والحديث قبل أن نتحدث عن العمل؟

ـ السبب الوحيد الذي يجعلني أتحدث إليك هو العمل.

فقال بابتسامة باهتة خالية من الهزل: «وكبريائي ليست هشة».

ـ أشك في أن فيك شيئاً هشاً.

كان كالصوّان فهو ذو قلب صخري. فهل هناك أمل لديها في إقناعه بعدم الاستثمار بالمرهون لديه؟ ومع ذلك عليها أن تحاول.

ـ الصدق هو ميزة تدعو إلى الإعجاب.

أحضر النادل المقبلات فتناولت بضع لقيمات دون شهية.. كل ما أرادته في هذه اللحظات هو اجتياز الساعة التالية.. أو الساعتين. وعندما تغادر المطعم تكون قد عرفت الجواب وأدركت المصير المحتوم لها ولأمها.

كانت واثقة من أن الطعام لذيذ، ولكن يبدو أن حاسة الذوق لديها كانت مضربة عن العمل. وعندما جاء الطعام الرئيسي أخذت تعبث به بالشوكة ولم تكد تأكل منه إلا قليلاً، كما أخذت ترشف المياه المعدنية المتألقة.

أما هو فأكل باستمتاع واضح. فكرت دانييل بأنه يبدو رجلاً مميزاً بين الرجال، مرتدياً ملابس أنيقة التفصيل. قميصه الأزرق الداكن من أجود أنواع القطن، وربطة عنقه من الحرير الخالص، وساعة معصمه غالية الثمن.

ولكن أي رجل هو خلف هذه الثياب الفاخرة؟ إنه معروف في مجال الأعمال بالقسوة، وقوّته التي لا تعرف الشفقة أحياناً. أتراه سيكون صلباً غير مرن عندما تنطق بالتماسها؟

تحكمت دانييل بأعصابها حتى أنهى النادل إخلاء المائدة قبل أن تنطق بالكلمات التي استظهرتها جيداً: «هل تتكرم علينا بتمديد المهلة؟».

ـ لأي سبب؟

سيرفض! وتقلّصت معدتها بألم محسوس: «بإمكان أمي أن تتدبر أمر المتجر وحدها، وأنا سأعمل عند شخص آخر».

ـ براتب لا يكاد يكفي معيشتك من أسبوع لأسبوع؟

واستند إلى الخلف: «هذا ليس عرضاً معقولاً».

إنّ الدين الذي عليهما يعادل ثروة وهي لا تأمل أبداً أن تسدّده

يوماً. وتقابلت أعينهما: «هل يرضيك أن تراني أتسوّل؟».

رفع حاجبه: «هل هذا ما تفعلينه؟».

نهضت دانييل واقفة ومدت يدها إلى حقيبة يدها: «كانت هذه الليلة غلطة».

واستدارت لتغادر وإذا به يقبض على معصمها بشدة.

ـ اجلسي.

ـ لماذا؟ لكي تستمر في النظر إلى خجلي وارتباكي؟

واحمر وجهها خجلاً بينما تجلّى الغضب في عينيها البنيتين.

ـ شكراً، ولكن لا، شكراً.

استمرّ يضغط على معصمها فاتسعت عيناها ألماً. فعاد يقول برقة بالغة: «اجلسي، نحن لم ننته بعد».

نظرت إلى كأسها المليء بالماء، وفي لحظة جنونية فكرت في أن تقذفها في وجهه.

ـ إياك.

كان تحذيراً ناعماً يبطن التهديد.

ـ دع معصمي.

ـ عندما تعودين إلى مقعدك.

كانت معركة بين إرادتين، ولم تشأ أن تتنازل لولا نظراته المسيطرة التي أنذرتها بأنها لا يمكن أبداً أن تنتصر عليه. وبعد عدة ثوانٍ متوترة، عادت تجلس في مقعدها وهي تدعك معصمها دون وعي.

وتملكتها رعشة خفيفة وهي ترى السهولة التي جعل بها عظامها الهشة تقرقع.

ـ ماذا تريد؟

انطلقت هذه الكلمات من فمها قبل أن تستطيع منعها.

رفع ريف كوب الكولا وارتشف منه رشفة، ثم عاد فوضعه على المائدة وهو يتأملها: «دعينا أولاً نتباحث في ما تريدينه».

شعرت بالخشية والحذر.

ـ تتمنين قائمة تحتوي على فك رهن الشقة، واسترجاع مقتنيات الأسرة الأثرية، والمجوهرات وسداد كافة الديون. وتتمنين أن ينتقل متجر أمك إلى شارع «توراك رود» بعقد إيجار جديد مريح.

كان مستحيلاً أن تخمّن دوافعه، بل هي لم تحاول ذلك، فقالت ببطء: «هذا يساوي مبلغاً معتبراً».

ـ مليون ونصف مليون دولار، أكثر أو أقل بعدة آلاف.

فقالت متحكمة في غضبها: «ما الذي كنت تفعل؟ تقوم بعملية جرد ووضع قائمة بكل ذلك؟».

ـ نعم.

تقبضت يداها حتى بان بياض مفاصل سلاميات أصابعها: «لماذا؟».

ـ أتريدين أن أقول كل شيء؟

هل جلس مشرفاً على حياتها ينظر إلى أمها وهي تبيع كل مقتنياتها، واحداً بعد الآخر؟ ولكن لماذا؟

ـ لقد أوكلت إلى شخص بأن يشتري كل ما تضطران إلى بيعه.

أي نوع من الرجال هو هذا الرجل؟ إنه رجل مستعد لأي عمل لكي يصل إلى هدفه.

وسرت في جسدها قشعريرة باردة. وأخذت تتأمل ملامحه، شاعرة بأعصابها على شفا الانهيار: «لماذا؟».

لم تطرف عيناه، والتوت شفتاه قليلاً بشبه ابتسامة لا هزل فيها: «ربما هي نزوة طارئة».

رجل مثل ريف ڤالديز لا يبني حياته باتباع نزوات طارئة.

ولمعت عيناها غضباً: «أرجو منك ألا تهين ذكائي».

رفع كوبه يرشف منه رشفة، ثم أخذ يديره في يده، متأملاً محتوياته لعدة ثوان قبل أن يرفع بصره ليشتبك ببصرها: «أنت تثيرين اهتمامي».

اهتز شيء في أعماقها فتجاوب معه جهازها العصبي بسرعة مخيفة. الفتاة الحمقاء أو الساذجة هي من تخطىء فهم ما يعنيه، وهي لم تكن أياً منهما.

الكبرياء والشجاعة جعلتاها تسأله بهدوء وسخرية مهذبة: «لا أرى سبباً لاختيارك لي من بين كل نساء المدينة المناسبات..».

أحضر النادل القهوة باسماً، وعندما شعر بتوتر الجوّ بينهما، انسحب بسرعة مهذبة.

وكبحت دانييل رغبة تدفعها للقيام بالمثل، ولم يبقها في مقعدها إلا علمها بأن ريف سيمنعها.

قال وعيناه في عينيها: «كان أبي وجدي قبله، يعملان في كروم أسرة «آلبوا»، وكانا يعتبران خدمة مثل هؤلاء الملاكين الأثرياء شرفاً لهما. ألا ترين معي أن من سخرية الأقدار أن يملك ابن فلاح مهاجر القوة على أن ينقذ حفيدة المحترم جواكين آلبوا؟».

شعرت بقبضة باردة تعتصر قلبها: «هل هي مسألة انتقام؟».

ابتسم ولكن دون حرارة: «كنت فقط أشرح تسلسل الأمور».

أخذت تنظر إليه وهو يضع السكر في قهوته السوداء ثم يرفع الفنجان إلى فمه برشفة مدروسة. اخترق عينيها بنظراته، وفي وجهه غموض: «لكل شيء ثمن، ألا توافقينني الرأي؟».

لماذا يتملكها شعور بأن هذه أسوأ أنواع المناورات؟ ومع هذا اضطرت إلى أن تسأله: «ما الذي تريده؟».

- أريد طفلاً من صلبي يمكنني أن أورثه ثروتي. طفلاً يولد في

إطار الزواج، ومن أحسن لذلك، من سليلة «آلبوا»؟».

أخذ يراقب ملامحها، فرأى الاستيعاب، ثم الشك، ثم الغضب. وسألته بصوت لم تستطع هي نفسها تمييزه: «هل أنت مجنون؟ هناك كثيرون من الأطفال الفقراء في العالم. لماذا لا تتبنى واحداً منهم؟».

- لا.

نظرت إليه بتشكك، فقال: «إنها مسألة حاجة متبادلة بيني وبينك».

- إلى جهنم بهذه الحاجة!

ضاقت عيناه. وبدا على ملامحه حقد مخيف: «هذه هي الاتفاقية، إما أن تقبليها وإما أن تتركيها».

قالت متوترة: «دعني أفهم الأمر جيداً. أنت تريد أن تتزوجني على أن أكون أماً بديلة لابنك لفترة، ثم أذهب؟».

- نعم، إلى أن يصبح الطفل في سن الدراسة.

أرادت أن تضربه، وأوشكت على ذلك: «هل تعني مستوى رياض الأطفال أم المستوى المدرسي؟».

ضاقت عيناه قليلاً: «المدرسي».

- سبع سنوات تقريباً، هذا إذا كنت محظوظة وحملت على الفور؟

- نعم.

- وهذا يعني أن مكافأتي ستكون مئتي ألف دولار تقريباً كل عام؟ وهي تدفع لي مقابل فك رهن الشقة، ودفع الديون، وإصلاح كل مقتنيات أمي الثمينة ثم إعادة استقرار المتجر في مكان جديد؟

- نعم.

- وماذا عن السنوات التي أمضيها بصفتي زوجتك؟

- في بيتي، ستتمتعين بكل الفوائد الإضافية التي تعود عليك من

العيش فيه، والتصرف كمضيفتي الاجتماعية وعلاوة على ذلك مشاركتي السرير وهي علاوة سخية.

أرغمت نفسها على تأمل ملامحه: «عفواً، لكنني لا أعتبر أي علاقة معك مكافأة».

لم تتغير ملامحه وقال بنبرة من الهزل: «هذا كلام أحمق يبدر من امرأة لا تعرفني كعاشق».

تعلّقت عيناها بعينيه: «أحقاً؟ هل تلقيت علمك هذا من التمثيل الأنثوي ومن مدحك بكلمات لا تحصى مثل (كنت رائعاً يا عزيزي)؟».

ـ أتطلبين تزكية بالنسبة إلى طاقاتي؟

لماذا تشعر بأنها تنتقل بأسرع مما تتحمله؟

ـ وعندما أتمم هذا المشروع الجهنمي الذي تقترحه.. ماذا سيحدث؟

ـ أوضحي.

ـ أعني بعد الطلاق.

ـ ذلك شيء يبقى للمفاوضة.

ـ أريد كل الحقائق الآن. هل سيكون لي الحق في أن أرى طفلي؟ أم ستقذف بي جانباً بعد انتهاء الموعد بيننا؟

ـ سيكون حينذاك بيننا ترتيب مناسب.

ـ مناسب بأي شكل؟

ـ ليس في نيتي أن أقصيك عن حياة ولدك.

ـ لكنك بقوة القانون ستقصر ذلك على أوقات محدودة في الإجازات وفي العطلات الأسبوعية.

إنه سيستخدم أفضل العقول القانونية في البلاد لكي يضمن نفوذه المطلق على ابنه.

ـ من الطبيعي أن تضمن اتفاقية قبل الزواج ابتعادي عن ولدي بعد الطلاق وأنا بلا شيء.

ـ بل ستكونين مستقرة في منزل مناسب، وسأدعمك بعطاء سخي حتى يبلغ الطفل سن الرشد.

ـ أتصور أنك مستعد لوضع كل هذا كتابة.

ـ سبق أن قمت بذلك.

وسحب من جيبه مستنداً مطوياً وضعه أمامها: «إنه موثّق من كاتب العدل. خذيه معك وادرسيه بعناية واعطيني جوابك خلال أربع وعشرين ساعة».

إنه لمن غير المعقول أنها بقيت جالسة هنا.

ـ ما تطلبه هو مستحيل.

ـ وضعك لا يسمح لك بأن تساوميني.

ـ هل تهددني بأن تسحب عرضك؟

ـ كلماتك هي المهددة وليست كلماتي. هذه اتفاقية عمل لا أكثر ولا أقل. لقد عرضت عليك الشروط، وأنت من عليه الرضا أو الرفض.

هل هو دون قلب؟ وشعرت بالغثيان وهي تنهض واقفة وتتناول حقيبة يدها. إن بقيت فترة أطول في صحبته فقد تقول شيئاً تندم عليه فيما بعد. ثم قالت بأدب ينقصه الإخلاص: «شكراً للعشاء».

رفع ريف يده ينادي النادل، ثم قال لها: «سأرافقك إلى سيارتك».

أجابت بجفاء: «هذا غير ضروري أبداً».

ثم شرعت في السير نحو المدخل. أومأت للنادل ثم خرجت إلى الرصيف، وما إن سارت عدة خطوات حتى رأت رجلاً طويلاً يسير بجانبها.

قال ريف ببطء مراقباً تعاقب أضواء الشارع على ملامحها: «هل أنت مستعجلة للهرب إلى هذا الحد؟».

لم تجب. وصلت إلى الزاوية وانعطفت حولها ثم أسرعت بالسير بقدر ما يسمح به كعبا حذائيها الرقيقين.

مسافة قصيرة وتتخلص منه، وسرعان ما بدت لها سيارتها.

ـ تصبح على خير.

لكنه تجاهل طردها الواضح له، ورافقها حتى سيارتها «السيدان» الصغيرة، ثم وقف ينتظر ريثما جلست خلف المقود.

فتحت المحرك ومالت لتغلق الباب لكنه أبقاه مفتوحاً ومال نحوها: «أربع وعشرون ساعة، يا دانييل. فكري جيداً، ستربحين كل شيء، أو تخسرين كل شيء».

ثم تراجع إلى الخلف، فانطلقت بسيارتها.

تبّاً له، من يظن نفسه؟

خاطبها صوت في أعماقها: لا تجيبي عن هذا السؤال.

إنه زواج لمصلحة متبادلة بين الطرفين ليست مستحيلة هذا العصر وهذه الأيام.

المسألة هي ما إذا كانت قادرة على الدخول في اتفاقية كهذه، مع شخص أظهرت كرهها له.

طفل! وانقبض قلبها لفكرة الأم البديلة. لقد أعطى ريف ڤالديز كلمته مشافهة بأنه سيكون لها دور فعّال في حياة طفلها بعد الطلاق.

أتراها تدفع ثمناً غالياً؟

وقررت دانييل أن عليها أولاً أن تطلب من محامٍ مراجعة اتفاقية ريف المكتوبة، ثم تضع قرارها.

* * *

٢ ـ امرأة في قفص

بعد ذلك بأيام، وقفت دانييل بجانب ريف ڤالديز في حدائق منزله «توراك» الرائع وهما يتبادلان عهود الزواج أمام موظف مكتب زواج وحضور أمها «آربين» ومحامي ريف كشاهدين.

مرّ الأسبوع الماضي بشكل ضبابي، كان كل يوم فيه محموماً مقلقاً أكثر من اليوم السابق وظلّ الحال كذلك إلى أن وُقّعت المستندات القانونية وانتظمت أمور آربين ولم يبق سوى الزفاف نفسه.

حالما يوقعان على وثيقة الزواج، سيكون على ريف ڤالديز أن يوقع إقراراً بدفع كل ديون آربين واستعادة مقتنياتها التي سبق أن باعتها.

الثراء مواز للنفوذ، وهو استغل هذا دون رحمة لكي يحصل على ما يريد.

مدت له دانييل يدها ليضع الخاتم في إصبعها. واهتزت يدها قليلاً وهي تبادله هذا التقليد.

ـ عليك أن تقبل العروس.

سمعت هذه الكلمات، فتملكها الذعر لحظة خاصة عندما أحاط هذا الرجل، الواقف بجانبها، وجهها بين يديه وقبلها بطريقة حركت شيئاً في أعماقها.

جعلت المفاجأة عينيها تتسعان قبل أن تسدل أهدابها بسرعة مرغمة نفسها على الابتسام وهي تتقبّل التهاني من أمها ومحامي ريف.

كان عناق آريين مفعماً بحنان الأمومة. كل الكلمات التي قيلت زادت في إقناع أم دانييل، لأن دانييل بذلت جهداً لتقنع أمها بأن قرارها الزواج بريف ڤالديز لم يكن قراراً جنونياً ولد دون سبب!

لكنها الآن، على كل حال، لم تكن بالغة الثقة بالنجاح.

لقد تجنبت الإفلاس، وامّحى الدين الكبير، واستُرجعت مقتنيات العائلة الثمينة، وهو ثمن عليها أن تباشر بدفعه.

إنها تعرف هذا الرجل الواقف بجانبها، ومع ذلك، وقبل أن ينتهي الليل، ستشاركه السرير.

أفقدها هذا الشعور توازنها النفسي وأوشك أن يدمّرها. رأته مرة واحدة في الأسبوع الماضي، وكان ذلك في مكتب محاميه عندما وقّعت على أوراق الاتفاقية. واتصل بها مرة أيضاً يخبرها عن موعد ووقت الزفاف.

وهذا الصباح نقلت ملابسها وممتلكاتها الشخصية إلى بيته، ومنذ أقل من ساعة دخلت بسيارتها السيدان الصغيرة من البوابة العالية التي تحرس بيته الأنيق، ثم دخلت إلى الردهة الفسيحة، وآريين بجانبها، إلى حيث استقبلهما ريف وعرفهما بمديرة منزله «إيلينا»، ومن ثم صعدتا إلى الجناح الأنيق في الطابق الأول.

كانت تلبس طقماً كلاسيكياً أنيق من الحرير العاجي اللون، أما الشيء الوحيد الذي أشار إلى أنها عروس فهو وردة عاجية اللون حملتها بيدها. كان شعرها مكوماً على قمة رأسها، وكانت زينة وجهها خفيفة للغاية.

أما ريف فقد اختار زياً رسمياً، فألقت عليه نظرة واحدة لاحظت

بها تفصيل بذلته وقميصه الأبيض المنشى. في تلك اللحظة كبحت حافزاً فورياً يحثها على الهرب. بدا أشبه بقاطع طريق كسول، ذي قوة لا تقهر، لطّف من منظره قامة طويلة وكتفان عريضتان.

سلّم الرجل الذي عقد الزواج ريف وثيقة الزواج، مقدماً تهانيه المعتادة ثم غادر المكان.

ثم احتفلوا بذلك وقُدّمت العصائر ولكن دانييل تذكرت أنها لم تأكل سوى شريحة خبز وقت الفطور، وبعض السلطة وقت الغداء.

بدا لها ما اقترحه محامي ريف عن تناول نخب زواجهما، أمراً غير ضروري أو نوعاً من النفاق. أما تقديم صينية المقبلات فلم يثر لديها أي شهية.

ضاقت عينا ريف وهو يرى ومضات من القلق تتعاقب على وجه الأم، فاختار لقمة من طعام ووضعها في فم المرأة التي حملت الآن اسمه.

أخذ ينظر إلى شرر ذهبي يشع في عينيها البنيتين القاتمتين، وظن لحظة أنها سترفض. ولو كانا وحدهما لرفضت بكل تأكيد.

تمتم المحامي بكلمات لم تلتقطها دانييل. بينما وضع ريف كأسه على منضدة قريبة، وقال له: «هل لك أن تأتي إليّ في المكتب لعدة دقائق؟».

هناك شهادة خطية تتبع الزواج بحاجة إلى إمضائه. فقد أصبحت الاتفاقية منجزة ولم يبق سوى التنفيذ من ناحية دانييل وإنجاب طفل له.

شعرت بقلبها ينقبض، لم يعد أمامها مجال لتغيّر رأيها.

غادرت الأم والمحامي في نفس الوقت. وأخذت دانييل تتأمل سيارتها السيدان وهي تبتعد بأمها، متبوعة بسيارة المحامي (البي أم دبليو) آخر طراز.

اتجه ريف عائداً إلى الصالة فتبعته دانييل. ثم قال مشيراً إلى سلم عريض منعطف يؤدي إلى الطابق الأعلى: «غرفتي في الطابق الأعلى، وهي تطل على الحدائق والبحيرة، إذا شئت أن تجددي نشاطك. إيلينا ستخرج أمتعتك من الحقائب، وسيقدم العشاء خلال نصف ساعة».

اعتبرت ذلك صرفاً لها، وشعرت بالراحة عندما استدار عائداً أدراجه إلى مكتبه.

لاحظت دانييل وهي تتجه نحو السلم، أن الطراز الاسباني واضح في كل مكان. فالأرض يغطيها رخام عاجي اللون ذو حواشي ممزوجة باللون الأسود والأخضر القاتم والرصاصي. وهناك خزائن صغيرة من خشب الماهوغوني تحيط بالجدار، وأباريق قهوة كبيرة فوق قواعد رخامية، ولوحات فنية أصلية تزين الجدران.

ومن السقف العالي للصالة الفسيحة تدلّت ثريا بلورية أنيقة فوق نافورة مزخرفة. وكان سلم فسيح يؤدي إلى الطابق الأعلى.

كل غرفة من غرف الضيوف كانت جناحاً متكاملاً تحتوي على غرفة جلوس مريحة، ولم تخطئ في معرفة غرفة النوم الرئيسية، ذات الخزائن الداخلة في الجدران، القائمة في جناح فسيح.

كانت غرفة زينتها قائمة بأناقة كبيرة في نهاية ممر رخامي. وملابسها وأحذيتها موضوعة في إحدى خزائن الجدران الواسعة، كما كانت هناك أدراج كثيرة تحتوي على ملابسها الداخلية.

أخذت نظراتها تجول في أنحاء الغرفة، ملاحظة اللون العاجي والتبني في مختلف تركيبات الغرفة.

استحال عليها أن تمنع بصرها من التباطؤ على السرير الفسيح بأغطيته الثقيلة. وكان من الصعب أيضاً تجاهل ذلك التوتر المؤلم في داخلها.

عنّفت نفسها قائلة بأن عليها أن تتماسك فريف ڤالديز هو رجل كغيره من الرجال.

ولكن أن تتصور نفسها مع رجل لا تكاد تعرفه، حتى داخل نطاق الزواج، لم يكن مريحاً.

ومع ذلك، كل ما عليها أن تقوم به هو احتلال سريره وتسليم جسدها له.. فلو حملت بسرعة لربما تركها وشأنها.

جذبت نفساً عميقاً، وحولت انتباهها عن السرير. هل عليها أن تغيّر ملابسها؟ ولكن من المشكوك فيه أن يغير ريف بذلته إلى ملابس أقل رسمية. إلا إذا أراد القيام بذلك في الدقائق القليلة الباقية.

ـ أظنك وجدت وقتاً للتعرف على محيطك.

جاء هذا الصوت من عند الباب عميقاً بطيئاً، فاستدارت نحوه ببطء.

كانت سترته معلقة على كتفه وقد أرخى ربطة عنقه. وبدا لها أسمر خطراً، وعرض كتفيه بالغ التأثير حتى دون سترته الرائعة التفصيل.

ـ لديك منزل رائع.

لن تستطيع، ولو لآخر حياتها، أن تدعوه (بيتنا).

فقال وعيناه تتأملان جسمها الرشيق: «شكراً، اقترب موعد العشاء».

فقالت بسرعة: «سأغير ملابسي في عدة دقائق فقط».

وفتحت الخزانة وأخرجت ثوباً بشكل عشوائي، وغيرت بسرعة الطقم العاجي اللون بثوب أحمر له حزام مذهب ووضعت على شفتيها لمسة أحمر شفاه، ثم دخلت إلى غرفة النوم.

كان ريف بانتظارها، فقابلت تأمله الشارد لها باتزان، ثم سارت أمامه من غرفة النوم.

أجلسها إلى المائدة.. كانت هادئة متزنة كما يتطلب منها دورها الاجتماعي الذي عليها أن تؤديه بمهارة.

كانت إيلينا قد أعدت وليمة حقيقية فحاولت دانييل أن تتذوق كل نوع منها.

ـ ألست جائعة؟

نظرت لحظة في عينيه الثاقبتين: «ليس تماماً».

قال بجفاء: «أريحي أعصابك، فأنا لن أزيح كل هذا جانباً ثم أهاجمك على المائدة».

نظر إلى عينيها وهما تتسعان، ثم تختبئان تحت أهدابها التي أسدلتها. كان بارعاً في قراءة الملامح، وماهراً في فن قراءة الأفكار.

لو كانت امرأة أخرى هنا مكانها لكانت الآن تحاول إغراءه بكافة وسائلها الأنثوية.

أما هذه الشابة الجالسة أمامه فيكاد توتر الأعصاب يدمّرها. كان هذا واضحاً في تسارع النبض في أسفل عنقها، وفي الحذر الذي تمضغ به طعامها.

ـ سماع هذا قد أراحني.

ووضعت الشوكة من يدها، لأنه لم يعد بإمكانها أن تأكل لقمة أخرى.

ـ حلوى؟

ـ لا، شكراً.

هل كان هذا صوتها؟ فقد بدا هادئاً متزناً.. وذلك أبعد شيء عنها.

دخلت إيلينا الغرفة وجمعت أطباقهما، وأومأت عندما قال لها ريف إنهما سيتناولان الحلوى والقهوة فيما بعد، ثم خرجت.

دفعت الحاجة إلى الحديث دانييل لأن تسأله: «في أي سن

غادرت الأندلس؟».

ارتفع حاجبه: «هل هو وقت الأسئلة والأجوبة؟».

أخذت تعبث بكوب العصير.. رأت، في هذا الضوء، الخطوط في زاويتي عينيه، وأخدوداً خفيفاً يشق طولياً كل خد. ملامح وجهه تبدو وكأنها نُحتت نحتاً..

ـ كل ما أعرفه عنك هو ما يتهامس به الناس.

ـ وهل المعرفة تشكّل أي فرق؟

فقالت: «لا، أبداً».

ـ ومع ذلك تريدين أن تنقّبي في خلفيتي لتكتشفي ما حدث وجعلني هذا الشيطان الأسود القلب الذي أصبحت عليه الآن؟ وما هو هدفي؟ هل ذلك لكي تفهميني بشكل أفضل؟

وارتسمت على شفتيه ابتسامة لم تصل إلى عينيه.

أجابت دون تردد: «لأفصل الحقيقة عن الخيال».

ـ هذا بديع.

ـ نعم، أليس كذلك؟

ـ لا تسكتي، يا دانييل.

تجاهلت نبرة التحذير في صوته: «الخيال يقول عنك إنك نشأت في شوارع شيكاغو عضواً في عصابة تخالف القانون».

قال بلهجة خطرة وناعمة كالحرير: «هل تصدقين ذلك؟».

نظرت إليه بإمعان، محاولة أن ترى ما وراء الواجهة: «أظنك قمت بما هو ضروري لكي تعيش».

ـ كان ماضياً، متفاوتاً بين الحلو والمرّ، أليس كذلك؟

إنجازه ثروة كبرى في حياته يعني المجازفات، والعيش بتوتر.

ـ هل في ما قلته شيء من الحقيقة؟

لم تتغير ملامحه: «البعض منها».

مقاتل شوارع، شعره إلى كتفيه، مربوط إلى الخلف، ملابس داكنة، وجسم مهيب، كان قائداً وليس تابعاً.

ـ وفي مكان ما، في طريق حياتك نظفت أعمالك. هل كان هناك جريمة لم تدفع ثمنها؟

إن عليه أن يشكر شرطياً خيّراً لأنه غيّر حياته. لقد رأى ذاك الشرطي خلف شجاعته الزائفة طاقات خلاّقة، فدعمها وحوّل غضبه نحو تنمية المهارات واستثمار المواهب المبدعة، وحوّل قتال الشوارع إلى كفاح سام وتدريب للعقل والجسد أيضاً. كما ساعده ذاك الرجل على تنمية ثقته بقدراته.

عاد حينذاك إلى المدرسة وحصل على منحة دراسية، وتخرج بدرجة شرف. ذلك الشرطي أدى له خدمة وذلك بتوجيهه ومنحه فرصة أخرى... أما الباقي فأصبح موضوعاً يكتب عنه المؤرخون.

لم يعلم أحد أنه رتب أمر تقاعد ذلك الشرطي مضيفاً إلى راتب التقاعد مبلغاً ضخماً منه، أو أنه أوقف اعتماداً مالياً لإنشاء مراكز رياضية لأولاد الشوارع. وهي مراكز كان يزورها كلما عاد إلى الولايات المتحدة.

قال بسخرية مبطنة: «فلنقل إنني قررت السير إلى يمين القانون».

ـ هل هذا كل ما ستخبرني به؟

ـ حالياً.

ـ لكنك لم تجب عن سؤالي الأساسي.

لم يتظاهر بعدم الفهم: «كنت في التاسعة من عمري».

وقد تغيرت الحياة، كما كان يعرفها، إلى الأبد. وأبوه المتوتر، الثائر دائماً، لم يستطع أن يجد عملاً ثابتاً ما جعله أخيراً يهجر الأسرة. ونقص المال ضمن له الانحدار الذي صاغ أسلوب فتوّته وسلبه والديه في سن مبكرة.

بدأ الظلام يرخي أسداله، وأخذت دانييل تنظر إلى ضوء النهار الذي أخذت ألوانه تبهت. كان هناك نوع من السريالية يصحب هبوط الليل، وشيء من السكون الموحش الذي كان يسيطر قبل أن تندفع الأضواء الكهربائية إلى الحياة ناشرة النور.

ـ مزيداً من العصير؟

قابلت عينيه فلم تستطع فهم شيء من ملامحه: «لا، شكراً».

ـ سننتقل إلى غرفة الجلوس، وسأطلب القهوة من إيلينا.

ـ هل تعيش إيلينا في المنزل هنا؟

ـ لا. إنها تحضر يوم الثلاثاء مع زوجها أنطونيو وتبقى إلى السبت، إنها ترعى المنزل. وهي تجهز لي العشاء عند الضرورة أو تترك لي عشاء خفيفاً. كما أن انطونيو مسؤول عن الأراضي خارج المنزل والبحيرة والصيانة.

تناولت دانييل قهوتها سوداء محلاة، ثم أخذت ترشفها على مهل. متى سيقترح عليها الذهاب إلى الفراش؟ بعد ساعة..؟ أقل؟

إنها من ناحية تريد أن تستعجل ما هما مقدمان عليه ثم تنتهي منه. ومن ناحية أخرى تريد أن تشعر بالإغراء أولاً لكي يمرّ الأمر بنجاح.

قال ريف: «متجر «توراك» أصبح جاهزاً لكي تنقل أمك إليه بضاعتها، وقد رتبت أمر وسيلة النقل للغد».

ـ سأتصل بها وأرتب أمر رؤيتها هناك.

ـ ألم تنسي شيئاً؟

نظرت إليه بطرف عينيها بصمت.

ـ إنك الآن زوجتي.

ـ أنا وآريين شريكتان في العمل. ومن غير العدل أن أدعها تجهز البضاعة المخزونة بمفردها وتنظمها في متجرنا الجديد.

تأمل ملامحها بتمهل قبل أن يقول: «ماذا لو سبق أن قمت بترتيب يجعل ذهابك لمساعدة أمك مستحيلاً؟».

ـ هل فعلت ذلك؟

ـ علينا أن نذهب إلى حفلة للعب التنس في منزل خاص في الساعة الثانية من بعد الظهر.

قالت بهدوء: «هذا يجعلني حرة في الصباح لمساعدة أمي».

ـ لستِ بحاجة إلى العمل.

ـ أتتوقع مني أن أبقى طول النهار وأنا أعبث بأصابعي بانتظار أن تستخدمني آخر النهار؟

ـ أستخدمك؟ ما هذا التعبير؟

في صوته شيء أرسل قشعريرة في جسدها.

ـ الحمل هو الهدف الرئيسي، لذا يجب أن تنحصر العلاقة في الأيام التي أكون فيها مهيئة للحمل.

لم تستطع التأكد من شيء من ملامحه. ولو كان لاعب ورق، لكان ماهراً جداً، ولكن هذا لم يكن لعباً.

ـ ألا يشبه هذا مهرة كثيبة تقدّم للاستيلاد؟

كانت نعومة لهجته خداعة. ومع أنها لم تره يحرك عضلة في وجهه، إلا أن وضعه بدا فيه قسوة حاقدة.

ـ لماذا لا تسمّي الأمر باسمه؟

لم تطرف عيناه، واستعانت بكل شجاعتها كيلا تجفل من تلك القوة المنبثقة من أعماق هاتين العينين السوداوين. حدة المشاعر كانت من الوضوح بحيث أشعرها ذلك بالخوف تقريباً.

وقال بنعومة خطرة: «إننا نحتل نفس السرير ليلياً».

ـ هل تنوي أن تأخذ حقوقك الزوجية بالقوة؟

ـ هل تأملين ألا أفعل هذا؟

ـ نعم!

ـ إنها غلطتك إذن.

ـ لكن هذه.. بربرية.

ـ أشك في أنك تعرفين جيداً معنى هذه الكلمة.

رفعت ذقنها بشيء من التحدي، ولمعت عيناها بعداء واضح وهي ترى قامته الطويلة تنهض عن الكرسي.

ـ هل تتوقع مني أن أصعد معك بهدوء إلى الطابق الأعلى؟

ـ إما على قدميك وإما ألقيك على كتفي، الخيار لك.

ـ لديك حساسية الثور.

ـ ما الذي كنت تتصورينه؟ كلمات جميلة شاعرية؟

سارت دانييل أمامه متجهة نحو السلم الجميل: «المفروض أنني محظوظة جداً».

كلمات حمقاء لا مبالية. وترددت بصمت وهي تصل إلى صالة الطابق الأعلى، ثم استدارت إلى الممر المؤدي إلى غرفة النوم الرئيسية.

بد وكأن أعصابها تحتد وتتوتر مع كل خطوة تتخذها. وعندما دخلت الغرفة لم يكن من السهولة أن تتجاهل اتساع هذا السرير أو دلالته.

أترى خطوتها تعثرت قليلاً؟ تمنت ألا يكون الأمر كذلك. فالتردد ليس عادة من عادتها، ودون أن تنطق بكلمة، خلعت حذاءها، ثم سارت إلى صف الأدراج التي تحتوي على ملابسها الداخلية. كان هناك قميص نوم رائع الجمال من الساتين والدانتيلا وهو هدية من أمها، فتجاهلته مفضلة عليه قميصاً قطنياً مقفلاً، ثم انتقلت إلى الحمام. فقد يساعدها الدوش على إراحة نفسيتها.

بعد ذلك بدقائق، كانت قد خلعت ثيابها، وأزالت زينتها عن

وجهها، ورفعت شعرها بالدبابيس، ثم عدّلت حرارة المياه ودخلت إلى تحت الدوش.

دفعتها كبرياؤها إلى عدم قضاء وقت طويل، ثم جففت جسمها وأكملت الطقوس المعتادة في الاستحمام، ولبست قميصها القطني، ثم عادت إلى غرفة النوم، وإذا بأنفاسها تتوقف وهي ترى ريف يسحب الأغطية عن السرير.

كان يلف منشفة حول وركيه، فبدا جسده قوياً.

بدت أكبر قليلاً من مراهقة بوجهها الخالي من كل زينة وبشعرها المعقود إلى الوراء على شكل ذيل حصان.. هكذا رآها ريف وهو يتأملها بعينين ضيقتين، ملاحظاً ترددها.

* * *

٣ ـ واحة الرغبة... والدموع!

ـ أي ناحية من السرير تفضل؟

فارتفع حاجبه: «وهل هذا مهم؟».

رباه! ماذا بإمكانها أن تقول؟ أنا لست ماهرة جدا في هذا الأمر؟

سارت إلى حافة الفراش، ثم غاصت فيه.

حوّلت بصرها عنه بسرعة وقالت: «هل يمكنك أن تطفىء النور».

هل كان هذا صوتها؟ بدا وكأن في حلقها غصة.

ـ لا.

بإمكانها أن تقسم أنها لاحظت نبرة تسلية في صوته.

ـ دعينا نتخلص من هذا أولاً.

وشعرت بيديه تمسكان بقميصها المقفل وترفعه فوق رأسها. ارتفع احتجاجها ثم ذوى في حلقها، ثم شبكت ذراعيها.

رباه، كيف ستتمكن من أن تمنحه ما يريد؟

قبضت يد على معصمها، فأسدلت أهدابها تستر بصرها، وإذا به يرفع ذقنها: «لا تختبئي».

هذا التأنيب بعث الاحمرار إلى خديها وفتحت عينيها على اتساعهما: «ربما أنت معتاد على النوم مع نساء بعد تعارف بسيط، لكنني لا أشعر بالراحة من هذه الصلة الحميمة مع رجل لا أكاد

www.elromancia.com

أعرفه».

وتقبض فكها، مانعاً شهقة هددت بالانفلات عندما أحنى رأسه على رأسها ثم مسح صدغها بشفتيه.

ـ أرجوك.

رفعت يديها إلى صدره تحاول أن تزيد المسافة بينهما، ولكنه خنق بعناقه أي ردة فعل قد تبدر عنها.

كانت لديه المهارة التي تذهب بعقل المرأة، فاستعملها دون رحمة ما جعلها تتجاوب بشكل آلي.

لم تعرف شيئاً من قبل يماثل ذلك الشعور البدائي الذي استطاع أن يثيره فيها.

قيل الكثير عن ذلك الرجل الذي وضع خاتمه في إصبعها منذ ساعات فقط. هل تعمد إغراءها إلى هذا الحد، أم هو أسلوبه العادي في غرفة النوم؟

وقررت أخيراً، وهي ترتجف، أنه إذا كان الأمر الأخير، فلا عجب أن تتهافت عليه النساء.

هذا هو الرجل الذي تزعم أنها تكرهه، فكيف نسيت؟ إنها تكرهه لأسباب كثيرة أهمها خطته الجهنمية التي ابتكرها مقابل عدة سنوات من حياتها.. ومقابل أن تمنحه طفلاً.

تأوهت بصمت، ثم دفعته بصدره: «أريد أن أنام قليلاً».

ـ سترتاحين.. فيما بعد.

وبعدم اهتمام، نزل من السرير ثم حملها: «فلنذهب إلى الحمام».

نظرت إليه عدة ثوان دون أن تفهم، ثم أدركت ما يريد: «لا أريد أن أشاركك الحمّام».

فقال بلطف: «بل ستفعلين».

ولم يسمح لها بمزيد من الاحتجاج، بل اتجه بها إلى الحمام.

ـ أنزلني!

وأخذت تضربه على كتفه بقبضتها عندما أغلق عليهما الباب الزجاجي.

أمسك بمعصمها بأصابعه القوية وهو يراها تهم بضربه بقبضتها على ضلوعه: «إياك، لن تنتصري».

كان لديه الطول والقوة لضربها إذا قذفته بأي شيء، وعندما سنحت لها الفرصة مرة أو مرتين.. لم تتردد في استعمال واحدة منهما ولكنه سدّ عليها الطريق فوراً.

صدرت عنها صيحة غضب عندما حملها، وتبدد أي نوع من التسلية، وحل مكانه عناد بالغ. وشعرت لحظة بقلق غريزي.

ـ أتريدين أن تعبثي؟

كان في هذا السؤال تحذير صامت لم يسمح لها الغضب بأن تهتم به. ودون أن تفكر أحنت رأسها وعضته في كتفه بعنف.

سمعت فحيحه الغاضب في نفس الوقت الذي شعرت فيه بطعم الدم في فمها. وصرخت عالياً عندما رفعها إلى أعلى، وكانت صرخة الألم هذه حقيقية.

وعندما رفع رأسه التقت نظراتها المذهولة بنظراته لحظة طويلة، ثم أخذ يعانقها بوحشية تقريباً. وبإصرار وجوع، لسعا روحها كالسوط.

لم تستطع الحراك وهو يحتضنها بشدة، وأخذت تلكمه على كتفيه وأضلعه وفي كل مكان وصلت إليه يدها، دون فائدة.

كم طال ذلك؟ لم يكن لديها فكرة. فقد بدا وكأنه الأبدية.

كان لهذا النهار، وأهميته، وريف.. تأثير كبير عليها، وغالبت دموعاً أوشكت أن تنهمر من عينيها.

توسلت إلى نفسها بصمت ألا تبكي.. فالدموع هي علامة ضعف لا تريدها.

ومع ذلك لم تستطع أن تمنع سقوط دمعتين ساخنتين إلى ذقنها، ولمحت عضلة تتقلص في نهاية فكه.

منعتها الكبرياء من الهرب، فوقفت جامدة، مقاومة فيض المشاعر التي هددت بأن تحطم ما بقي لديها من تماسك.

وبحركة بطيئة، رفع يده ولامس بإبهامه خديها، واحداً بعد الآخر.

لم تتحرك عندما أخذ يمرّ بإبهامه على شفتيها ثم رأته ينزل يده إلى جنبه، وهو يقول بصوت أبح: «اخرجي من هنا، يا طفلتي البريئة».

* * *

كان في صوته حافز جعلها لا تضيّع وقتاً، وانطلقت هاربة إلى غرفة النوم.

ارتدت قميص النوم القطني، وألقت على السرير نظرة سريعة، ثم قررت أن تنام في مكان آخر.

ـ إياك أن تفكري في ذلك حتى.

استدارت نحو ذلك الصوت الناعم، ونظرت إليه وهو يدخل الغرفة.

ـ لا أريد أن أنام معك.

كلمات صريحة شجاعة نطقت بها بحزم هادىء.

ـ أو بالأصح، أنت لا تريدين إقامة علاقة معي.

وانتظر لحظة ثم عاد يقول: «في هذه الحالة، (النوم) هي الكلمة الفعالة. ونحن نشترك في نفس السرير».

ـ لا.

ـ لا أظنني منحتك الخيار.

تجدد غضبها: «اذهب إلى جهنم».

اخترق عينيها بنظراته: «أعتقد أنك لا تريدين أن آخذك إلى هناك».

فقالت وهي كقطار شارد نحو الكارثة:

ـ إذا كنت تريد امرأة وديعة خاضعة، كان عليك أن تتزوج امرأة أخرى.

ـ لكنني اخترتك أنت.

سكت وهو يرمقها بنظرة غاضبة: «وذلك لغرض معين.. أم تراك نسيت بهذه السرعة؟».

سلخت نظراتها عن نظراته: «إذا لمستني الليلة مرة أخرى سوف..».

ـ تحاربينني حتى الموت؟ تخرجين عيني من محجريهما؟

ومال على السرير يسوّي الوسائد ويسحب الأغطية: «حذار، فأنا خفيف النوم».

ـ وما معنى ذلك؟

ـ أحذرك أن تنتقلي في الليل للنوم في مكان آخر.

ـ لا يمكنك..

ـ جربيني..

ـ ما أنت سوى طاغية مستبد!

تسلل بين الأغطية: «سأحتمل كثيراً من الشتائم، اصعدي إلى السرير يا دانييل».

ـ وإن لم أفعل؟

اخترقت عيناه عينيها: «سأضعك فيه بنفسي».

ولد الاستسلام من الحكمة.. رغم أنها لم تشعر بالحكمة بشكل

خاص وهي تصعد إلى السرير كارهة. وكدليل أخير على تمردها، أدارت له ظهرها واحتضنت حافة الفراش.

شعرت بالرضا عندما أطفأ نور الغرفة فسبحت في الظلام، وتمددت متوترة، تستمع إلى أنفاسه البطيئة المنتظمة.

كيف أمكنه أن ينام بهذه السهولة؟ هل هو كثرة التدريب على مواجهة المخاطر؟ أم التناغم في ميكانيكية جسمه بحيث ينام بعمق ثم يستيقظ لأقل صوت أو حركة؟

ما الذي شاهده في حداثته ليجعله بهذه الصلابة؟ هل عامله القدر بقسوة فجعله دون قلب؟ هل ستتمكن المرأة المناسبة من أن تغير نظرته إلى الأمور؟ هل يمكنها هي ذلك؟

يا إلهي.. ما الذي تفكر فيه؟ السبب الوحيد لوجودها في بيته هو إنجاب طفل له، وبعد الإنجاب سيكون عليها البقاء فترة ثم الرحيل.

ولكن هل هناك امرأة ترغب في العيش مع رجل كريف ڤالديز؟

لكنها اعترفت، بكراهية واضحة، أن هناك كثيرات. ذلك أن حجم دفتر شيكاته يضمن الخضوع من زوجة باحثة عن صيد، من زوجة مستعدة لتصبح مضيفة مهذبة وعشيقة مغرية وأماً لطفله.

فلماذا يريدها هي بينما بإمكانه أن يختار من يريد من النساء الشابات؟ هل لأنها رفضت أن تلبيه، أم لأنها تتحداه؟ أم أنها مجرد الظروف، كما ادعى هو؟

ويجب ألا ننسى أيضاً نسب آل «آلبوا»، كما أضافت بصمت.

هل هذا مهم حقاً؟

تنهدت بخفة وهي تحاول أن تريح جسمها المتوتر. التكوّر على شكل كرة مشدودة على حافة الفراش، لم يكن هو وضعها المعتاد في النوم.

وكانت قد بدأت تشعر بتوتر في عدة عضلات، وشعرت بالألم

في أنحاء جسمها. من السهل عليها أن تستغرق بالبكاء. أليس هناك قول منطقي بأن البكاء يريح النفس؟

سالت دمعة واحدة ساخنة على خدها، فمسحتها رافضة بغضب.

ومضت فترة قبل أن تستغرق في نوم متعب. وعندما استيقظت كان الوقت صباحاً، والسرير بجانبها خال.

* * *

٤ ـ أعماق المجهول

انقلبت دانييل ونظرت إلى الساعة بجانب السرير. ثم أسرعت واقفة، وأحضرت تليفونها الخليوي ثم اتصلت بأمها.

ـ يا إلهي يا حبيبتي! لم أتوقع منك المجيء هذا الصباح، يمكنني تدبّر أمري وحدي.

ـ يمكننا، نحن الاثنتين، أن نفرز البضاعة بنصف الوقت.

قالت دانييل هذا ببشاشة وهي تسير إلى خزانة الثياب حيث اختارت بنطلون جينز وبلوزة. ثم ألقت بهما على السرير وتحولت لتحضر ملابس داخلية.

ـ هل أنت واثقة من أن ريف لن يعترض؟

فقالت وهي تضع التليفون تحت أذنها: «لا أرى سبباً يدعوه إلى الاعتراض. وليس هناك برنامج معين ليومنا هذا.. لدينا فقط خطة واحدة للخروج بعد الظهر، وسأعود في الوقت المناسب».

ارتدت البنطلون بينما كانت أمها تقول: «هل آتي لآخذك بالسيارة، هل نسيت أنها معي؟».

رباه! لقد نسيت: «لا بأس سأكون جاهزة بعد ثلث ساعة، وسأقابلك عند البوابة».

خلعت بسرعة قميصها، ثم قفزت بدهشة عندما امتدت يد تأخذ التليفون منها.

مدت يدها تريد أن تستعيده: «أعطني إياه!».

لكنه وضع التليفون على أذنه: «آريين، سنقابلك في المتجر».

ثم قطع الخط.

نظرت دانييل إليه بغضب: «ما الذي فعلته؟

ـ ذلك يدعى مساعدة.

انتبهت إلى أنها نصف عارية، فأسرعت تستدير مبتعدة عنه ثم أسرعت بارتداء ملابسها بسرعة قياسية.

ـ هذا غير ضروري.

قالت له هذا من فوق كتفها ثم دخلت الحمام وأغلقت عليها الباب.

وعندما خرجت وجدته في مكانه.. وكانت قد مشطت شعرها ورفعته على قمة رأسها، واكتفت من الزينة بقليل من أحمر الشفاه.

ـ أنت لم تأكلي شيئاً.

كان هو أيضاً يرتدي بنطلون جينز وكنزة رياضية تحتضن منكبيه العريضين، وتبرز عضلة أعلى الذراع الضخمة.

حملت تليفونها وحقيبة يدها، ثم سارت وهي تقول: «سآكل شيئاً فيما بعد».

ـ أريد أن أراك تأكلين.

ـ أنا أكره الرجال المستبدين.

ـ لقد نعتوني بما هو أسوأ بكثير.

ـ دون شك.

قالت هذا بشيء من التهكم.

وصلت إلى قمة السلم، ثم هبطت راكضة إلى الطابق الأرضي، واعية إلى أنه خلفها.

الوصول إلى الكاراج يمر عبر طريق الردهة المؤدي إلى الخارج،

وبعد ذلك بدقائق، خرج بالجاكوار من البوابة الخارجية متجهاً بها إلى شارع «توراك رود».

كان موضع المتجر «لافام» مثالياً، إذ كان قائماً في مجمع حديث يتضمن سبعة متاجر ومقهى متخصصاً بتقديم القهوة الممتازة والطعام.

كان على دانييل أن تمنح ريف حقه، لأنه تشاور مع آريين عن المكان المناسب للمتجر، وأمر لها بما تريده وتأكد من أن كل شيء قد اكتمل في الوقت المناسب لكي يشترك الجميع في نقل البضاعة المخزونة إليه.

ليس هذا فقط، فقد تغير في عيني آريين من غول إلى بطل. فالبضاعة الجديدة وصلت أمس، مع وعد بتسليم المزيد غداً.

وعندما أبطأ ريف بالسيارة، ووقف عند المنعطف، قالت له: «أنزلني هنا، وسأعود بالتاكسي».

أوقف المحرك ورافقها، رافعاً حاجبه عندما حملقت فيه متفحصة: «لا حاجة لأن تفتش بنفسك».

ـ بالعكس، من عادتي أن أتفحص كل استثماراتي.

اللافتة المكتوبة بأحرف مذهبة على واجهة المتجر بدت جيدة، ورأت أمها خلف الزجاج تفتح صناديق البضاعة.

هل كانت أمها تطيل النظر إليهما أم أن دانييل تتخيل ذلك؟ وما الذي كانت تبحث عنه؟ عن دليل أن ريف ڤالديز قد أساء معاملة ابنتها؟

بإمكان دانييل أن تطمئنها إلى أن لا شيء من ذلك حدث. أو، على الأقل، لا شيء ظاهراً للعيان.

ـ هل نبدأ العمل؟

ألقت عليه نظرة سريعة: «هل تنوي البقاء؟».

ـ هل هناك مانع؟

أجابت آريين باسمة: «طبعاً لا. فرز البضاعة سيكون تبعاً للطراز واللون والحجم. وأنا أحب أن أنظّم العرض وأهتم بعرض ملابس الواجهة. وقد بدأت بذلك، أفرزي أنت يا دانييل وأنا أرصها على الرفوف».

ـ وأنا ماذا تريدين مني أن أفعل؟

ـ تنقل البضاعة من الصناديق.

قالت دانييل هذا وهي تتقدم إلى أحد الصناديق الكبيرة ثم تفتحه.

استغرق إفراغ الصناديق من البضاعة فترة، ثم نُظّمت العلب بحسب نظام معيّن في الأدراج الواسعة العديدة القائمة في خزانات يصل ارتفاعها إلى الخصر على مدى الجدار المقابل.

قال ريف: «سأذهب لأحضر شيئاً نأكله. هل تفضلان شيئاً ما؟».

قالت آريين: «لقد أحضرت معي شطائر وزجاجات ماء، إنها في الثلاجة».

نهضت دانييل واقفة وأخذت تتمطى: «سأحضرها».

ـ سنحضر معك يا عزيزتي، وما أجمل أن نجلس فترة عشر دقائق.

لم يكن في غرفة المخزن مساحة وافية للجلوس، لأن الرفوف تبطن الجدران من الأرض إلى السقف. وكان هناك منضدة صغيرة وكرسيان، وكابينة للخدمة تحتوي على مغسلة وأدوات للطعام وإبريق شاي كهربائي وجهاز «ميكروويف» صغير.

أحضرت دانييل الشطائر والماء ووضعتها على المنضدة، وهي تقول: «لقد انتهت كل الأعمال الصعبة».

فقالت آريين مسرورة: «شكراً لكما، أنتما الاثنين. لم يبق سوى

خزائن العرض والواجهة».

في الساعتين والنصف الماضية، كانت واعية كلياً لحضور ريف وكانت تشعر بكل حركة يقوم بها وبكل احتكاك لأصابعه بأصابعها عندما كانت تناوله الأشياء، وما زالت تشعر بنظراته التي أطالت النظر إليها أحياناً..

بعث كل ذلك فيها الاضطراب، وأسوأ من ذلك، أثار ذكريات حية لما حدث بينهما في الليل، ولما سيحدث مرة أخرى. كان هذا واضحاً في عينيه.

كانت الشطائر لذيذة، ثم اختارت أن تنظم المكان بينما شرعت آربين العمل في الواجهة. أما ريف فبقي في مكانه، فالتفتت إليه: «لا حاجة بك للبقاء. سأحرص على العودة إلى البيت في الوقت المناسب لأغتسل وأغير ملابسي وأكون جاهزة في الثانية».

مد يده وأمسك بخصلة من شعرها يضعها خلف أذنها: «لا».

تسارع نبضها، ولم تستطع تبريد الدماء الحارة التي سرت في عروقها. كل عصب فيها أخذ ينبض بالحياة لدى لمسته هذه، وشتمته في سرها.

وبحركات سريعة، غسلت كؤوس الماء وجففتها ثم وضعتها مكانها، ثم اجتازت غرفة المخزن، شاعرة به في أثرها. ابتدعت تصميم عرض للواجهة من التول والشرائط، ثم ألبست ثلاث مانيكانات. وكان «كاتالوغ» كبير مصوّر موضوعاً على كرسي أثري منجد بالساتين فوق حمالة جوارب مزينة بالدانتيلا الفرنسية.

بعد تفحص مركز وبعد القيام ببعض التعديلات، أعلنت آربين بأن الشكل قد اكتمل.

كل ما بقي هو الحاجة إلى وضع ستار على الواجهة الزجاجية ولكن آربين قالت لها إن بإمكانها القيام بذلك بنفسها بسهولة تامة.

ـ هل أنت واثقة؟

ـ طبعاً يا عزيزتي، أنسيت أنه لديكما خطة لبعد الظهر؟.

حفلة التنس.. وتذكرت دانييل هذا بذعر. كان ذلك أول عودة لها إلى المجتمع. الاستلقاء متكاسلة عصر يوم هادىء بجانب البحيرة وبيدها كتاب جيد هو أفضل حتماً من ألعاب التنس وما يستنزفه من طاقة، هذا عدا توخي الحرص والوعي الدائم إلى تقاليد المجتمع.

ـ نعم، لدينا.

أجابها ريف بذلك دون أن يُغفل السحابة السريعة التي مرّت على وجهها لحظة، ولكنه لم يعرف سببها.

نظرت آربين إلى ساعتها: «في هذه الحالة، عليكما أن تذهبا. الساعة الواحدة تقريباً الآن. استمتعا بوقتكما وشكراً للمساعدة».

ومالت إلى الأمام تقبل وجنة دانييل: «سأراك غداً».

لقد انتعش المتجر، وبدا حسناً تماماً. أخذت دانييل تفكر بذلك وهي تجلس بجانب ريف في سيارته.

ـ سأوصلك في الصباح إلى المتجر، ثم أرتب أمر شراء سيارة لك أثناء النهار.

لم تُرد قبول شيء منه، لكن السيارة كانت ضرورية، فقالت: «شكراً».

ـ اقترحت على آربين أن تتخذ موظفة يمكنها أن تحل مكانك حين لا تكونين موجودة.

استدارت إليه على الفور: «ماذا تعني بقولك (لا أكون موجودة)؟».

ـ سترافقينني في كل رحلة عمل أقوم بها. وستكون هناك مناسبات تحتاجين أثناءها لأخذ وقت فراغ لتتمكني من حضور نشاطات مسائية، وسيكون هناك أيضاً دعوات للغداء لأغراض الخير.

قال لها ذلك برفق وهو يرى غضبها المتنامي.

ـ لمتجر «لافام» الأولوية.

ـ ولاؤك الأول هو لي أنا.

قالت هازلة: «المعذرة، نسيت للحظة، أنني بعت نفسي وقبضت الثمن».

ـ لا تصعّبي الأمر.

كان صوته رقيقاً خطراً، نجح في بعث الخشية في جسدها.

كان الغداء لذيذاً وعندما أوقف ريف سيارته خلف صف من السيارات كانت الساعة الثانية ظهراً.

ليليان وإيڤان ستانيش!

وغار قلب دانييل بين ضلوعها لأنها ستحضر هذه السهرة بالذات.. إنّ ريف يلقي بها إلى الأعماق، وهي تستطيع تصور قائمة الضيوف. وقد تثبتت من ذلك حين دخولهما المنزل.

ـ ريف، عزيزي.

وأطلقت ليليان قبلتها الهوائية المعتادة، ثم تقدمت خطوة إلى صاحبته، وإذا بها تقف فجأة: «دانييل؟».

ـ زوجتي.

استعادت هدوءها بسرعة: «ما أجمل هذا، تهاني!».

أحقاً؟ كم تأخذ الشائعات من الوقت لكي تدور بين الناس؟ خمس دقائق؟ ومن هو الأول في محاولة التثبت من القصة خلف الخبر؟ أم أن الشائعة سبق أن بدأت مع انتقال متجر «لافام» إلى مكان آخر؟

ـ تفضلا إلى الشرفة وشاركا الجميع. لقد سبق أن نظم إيڤان قائمة بأسماء الأشخاص والألعاب.

تكلفت دانييل الابتسام، وكبحت رغبة صامتة في أن تكون في أي

مكان ما عدا هذا المكان، ثم سارت في أثر ليليان.

يجب ألا تفوت الفرصة أحداً، وصفقت المضيفة يديها طلباً لانتباه ضيوفها، ثم أعلنت خبر زواج ريف، مضيفة، وهي تضحك: «نحن أول من يعلم».

ثم التفتت إلى ريف وقالت بابتسامة ماكرة: «لقد قمت بهذا الأمر بصمت بالغ، يا عزيزي».

ـ كما أقوم بمعظم الأشياء في حياتي الخاصة.

سألته بخجل: «أنت لن تخبرنا إذن أي تفصيل؟».

أمسك بيد دانييل ورفعها إلى شفتيه. كان وجهه جامداً غير مقروء، ثم، بعد عدة ثوان مكهربة، أنزل يديهما المتماسكتين إلى جانبه وواجه عيني ليليان المتعطشتين: «لا».

ساد صمت عميق يكاد يسمع فيه رنين الإبرة إذا سقطت على الأرض، ثم بسطت ليليان يديها وأطلقت ضحكة رنانة: «هذا يتطلب احتفالاً».

قامت دانييل بحركة خفية لتخلص يدها من يده فلم تفلح. فمالت عليه هامسة: «ما هي اللعبة التي تقوم بها؟».

ـ التضامن.

ـ نقف متضامنين بينما نختلف في المشاعر؟

ـ نعم.

ـ أنت تدهشني.

ـ لماذا؟

ـ خلتك لن تتردد في إلقائي إلى الذئاب.

كانت نظراته مباشرة وصوته كالحرير وهو يقول: «أنا أهتم بما أملك».

لكنها ليست مما يملك..

ارتفعت الأصوات بالتهاني، فاحتفظت بابتسامة مسمّرة على شفتيها وأخذ الأصدقاء السابقون يحيونها بحماسة لم تخدعها. فهؤلاء هم الناس الذين أداروا لها ظهورهم عندما أدار لها الحظ ظهره. وهؤلاء هم الذين لم يعترفوا بها وبأمها بأي شكل منذ إفلاسهما.

والآن، بعد أن أصبحت زوجة ريف، أخذوا يتلهفون إلى تجديد صداقتهم، ويتصرفون، كما رأت، بحذر بالغ وبشيء من السخرية.

ـ غير معقول.

كان صوتاً نسائياً منخفضاً التفتت قليلاً لسماعه وإذا بشقراء كالتمثال كمالاً مغرية أكثر منها جميلة، وقد بدت واثقة بنفسها.

قال: «كريستينا».

حولت الشقراء انتباهها إلى دانييل، وقالت بابتسامة باهتة: «كيف جرؤت على أن تسرقيه مني؟».

كانت تمزح، ولكن لم يكن في هاتين العينين الرماديتين الباردتين أي هزل.

ـ عليك أن تسألي ريف؟

كان اقتراحاً لم يلق قبولاً حسناً البتة، وإن لم تكن دانييل مخطئة، فقد بدأت حرب للتو.

قالت لريف فيما بعد: «هل هي إحدى غزواتك الكثيرة؟».

ـ كنا نخرج معاً في المناسبات.

كانت هي ترشف العصير وكان إيڤان وليليان ينظمان اللاعبين في ساحتين للعب التنس بجانب أملاكهما، فوجدت دانييل نفسها مع ريف بينما كريستينا مع مرافقها.

ملابس اللعب كانت إلزامية، وتنورتها القصيرة ذات الثنيات مع القميص الأبيض عديم الكمين، لم يكونا بأناقة ما كانت كريستينا

تلبسه.

ما كان مفروضاً فيه أن يكون لعباً للتسلية أصبح منافسة قوية عندما بذلت الشقراء الجميلة جهدها لهزم دانييل. وهو شيء لم تسمح دانييل بحدوثه، فهي معروفة بمهارتها في اللعب ولهذا تمكنت من ردّ كل ضربة تقريباً.

وكما كان متوقعاً، بدا ريف أنه لاعب ماهر، وساعده على ذلك طوله وقوته.

كانت مباراة بالضربة القاضية، ولم يدهش أحد عندما انتصر ريف بصعوبة.

لم يؤثر فيه ذلك اللعب، أما هي فإن شوطاً آخر قد يقتلها.

وفي الثامنة قدم العشاء شواءً وكفتة على الفحم مع كثير من السلطات المتنوعة، وتبع ذلك القهوة.

ـ دانييل، عليك حقاً أن تلحقي بالفتيات أثناء غداء الأسبوع القادم، سأرسل إليك دعوة.

الفتيات.. أهه.. كانت هناك سخرية في كون ليليان تقود الأمور والآخرون يتبعونها. لكنها سترفض الدعوة عندما تصلها، محتجة بالمتجر والتزامها به.

ـ هذا لطف منك.

هناك عدة مبرّات خيرية تريد أن تدعمها.. بمنحها مبلغاً من المال، بدلاً من الظهور بين نساء سطحيات متصنعات.

رأى ريف القناع المهذب فانتبه إلى الجهد الذي تبذله في هذا التظاهر. بدت هشة، وكان هناك ظل خفيف تحت عينيها.

أنهى قهوته ثم تقدم إليها: «هل أنت مستعدة للخروج؟».

ـ نعم.

أجابت ببساطة، فهي لا تريد إلا الخروج من هنا. لقد نالت ما

فيه الكفاية، فهي متعبة، ولم تر السرير قط بهذا الجمال من قبل.

ولكن السرير يعني أن تنام فيه مع رجل سبق أن دمّر مشاعرها المترددة. لم تمر عليها لحظة، هذا النهار، نظرت فيها إليه دون أن تجلب إلى ذهنها صورة حية عن الليلة الماضية. فكان عند ذلك يتحرك شيء في أعماقها.

ويا لها من أفكار مدمرة! كان الأمر سيكون أسهل لو كان عاشقاً غير ملائم، يهتم بحاجاته دون حاجاتها.

بعد ذلك بدقائق، شكرا مضيفيهما، وودعا زملاءهما الضيوف.

دخلت دانييل السيارة وهي تتنفس الصعداء، مريحة رأسها على مسند المقعد الوثير خلفها.

ـ قمت باللعب بشكل جيد.

التفتت إليه: «هل تتحدث عن التنس، أم عن التصرفات الاجتماعية؟».

استدار بالسيارة حتى وصل إلى الشارع العام: «الاثنين».

ـ آه، يا لها من مجاملة.

استحال عليها إظهار شيء من السخرية في صوتها.

كانت الرحلة قصيرة، وإذا بريف، بعد دقائق، يوقف السيارة في الكاراج.

كل ما أرادت عمله هو أن تخلع ثيابها، وتأخذ دوش، ثم تستلقي على فراشها.. لتنام.

ولكن حظها بحدوث ذلك هو أشبه بحظها في الصعود إلى القمر، فقد لحق ريف بها.

ـ ألا يجعل هذا اجتماعنا أكثر مما ينبغي؟

لامس كتفها بإصبعه: «لقد سمّرتك الشمس».

بدنوّه منها بهذا الشكل، انتبهت تماماً إلى قوته المدمرة تلك التي

اكتسحت حواسها.

وإذا بصوت في أعماقها يعنفها: تحكمي في مشاعرك، الأفضل أن تبتعدي عنه. ولكن حدسها أنبأها بأن ذلك قد يستدعي أكثر مما استعدت له.

لاحظت على الجانب الأيسر لقفصه الصدري ندبة منحرفة بيضاء. ليست أثر عملية، أتراها نتجت عن شق سكين على حين غفلة؟

رفعت رأسها ووقفت لتفحص أثر فجوة قريبة من عظمة الترقوة التي بدت أشبه بأثر جرح رصاصة.

وكان هناك أيضاً وشم شرقي غير عادي على أعلى ذراعه اليمنى.

وتساءلت عما جعله يبقيه، بدلاً من أن يزيله ببعض المواد.

سألته، ناظرة إلى عينيه السوداوين الثابتتين: «ندوب معركة؟».

ـ إنها آثار ماض أقل فائدة.

ـ ماذا تعني بذلك؟

ـ أتريدين حقاً أن تعلمي؟

ـ ذلك جزء من حقيقتك.

لقد رفض أن يخبر أحداً عن سنوات حداثته. والتوت حافة فمه قليلاً إلى أعلى: «ما أعمق.. هذا السؤال!».

ثم انحنى إليها فسألته بغضب: «أيجب عليك ذلك؟».

ـ لماذا لا تغمضين عينيك وتستمتعين بذلك؟

وكان هذا طريقاً أكيداً إلى الكارثة. فهي بدأت تتجاوب ودمها جرى حاراً في عروقها.

ـ لا أريد ذلك، خصوصاً الليلة.

أدرك النبرة الخفيفة الأخيرة في صوتها، فأحس بالدليل على ضعفها فوضع يديه على كتفيها: «أليس هذا سيئاً؟».

كان كل ما فيها يؤلمها. لقد مرّ دهر منذ كانت تتدرب، وأشهر على آخر مرة لعبت فيها التنس. فقد كان النادي الرياضي أحد أوائل ما كانت تذهب إليه بصفتها عضواً في النادي.

رباه، إن أصابعه تنفث السحر، مبردة توتر عضلاتها. كان الإغراء قوياً للغاية بأن تفعل ما اقترحه عليها وهو أن تغمض عينيها فقط.

ما أجمل أن تلقي بنفسها بين ذراعيه مريحة رأسها على صدره الرحب. من أين جاء هذا؟ إن لريف ڤالديز غرض واحد، هو أن يرضي رغباته ويصبح أباً لطفل.

تأوهت بصمت، ثم تخلصت من ذراعيه وتوجهت إلى الغرفة وعندما عادت تناولت قميصها المقفل وبدأت بارتدائه فقطب جبينه وهو يرى لوناً خفيفاً يشوّه بشرتها.

كان لديها قدّ لدن رشيق، وساقان رشيقتان، ولها مشية، وحركات رشيقة مرنة.

ـ لماذا ترتدين مثل هذا القميص القطني أثناء النوم بينما هناك أروع القمصان الحريرية والدانتيل في المتجر؟

التفتت إليه بتحد: «ربما أنا أختار هذا.. لإطفاء المشاعر».

قال ببطء: «إنه لا يفيد بشيء».

لم تشأ أن تجيب، بل دخلت تحت الأغطية بصمت، ثم شعرت بالتوتر، منتظرة اللحظة التي سيمد فيها يده إليها.

لكن الدقائق أخذت تمرّ، فأغمضت عينيها وقد حلّ بها التعب، قاهراً كل رغبة.

وكان الوقت قبل الفجر عندما شعرت بيدي رجل تضمانها إليه.

تمتمتها بالاحتجاج لم يؤثر في ريف الذي زاد من احتضانها.

دفعته عنها، ثم تأوهت بصوت مرتفع عندما بدأ يعانقها بشغف.

استطاع بسهولة أن يجعلها تتجاوب ورأى الشوق في عينيها وهي تدسّ أصابعها في شعره، منسجمة معه في كل حركاته.

* * *

www.elromancia.com

٥ ـ امرأة في مزاد

تناولا الفطور على الشرفة على مهل، وبينما أخذت دانييل من الصحيفة صفحة الأزياء، أخذ ريف يقرأ الصفحات الاقتصادية مستمتعاً بكوب قهوته الثاني.

بدا مرتاحاً مسترخياً وهو يميل إلى الخلف.. شعره ممشط جيداً وذقنه حليق وقميصه مفتوح عند العنق وسترته وربطة عنقه على كرسي بجانبه. وعلى الأرض بجانبه حقيبة أوراقه.

أخذت تتأمله بكسل، إنه المدير العام الذي يمثل السلطة التنفيذية الناجحة بشكل لا يقبل الجدل.

إنّ عدم المرونة صفة مميزة فيه.. إنها صلابة نتجت عن إرادة الحياة في محيط، الحياة فيه للأقوى.

وفي هذه اللحظة، رفع بصره فالتقى ببصرها.

ـ إذا انتهيت، نغادر.

وشرب آخر قطرة من القهوة في كوبه ثم نهض واقفاً، وأقفل أزرار قميصه العليا، ثم وضع ربطة عنقه ولبس سترته.

وعندما أوقف السيارة أمام المتجر، كانت الساعة الثامنة والنصف تقريباً.

ـ لدي عشاء عمل هذا المساء.

ـ ألا أنتظرك إذن؟

تجاهل السخرية الخفيفة في صوتها: «ستسلّم إليك السيارة عصر هذا اليوم».

ـ شكراً.

ونزلت من السيارة، ثم أخذت تنظر إليه وهو يعود بها إلى الشارع العام.

فتحت دانييل المتجر فاكتشفت أن أمها قد سبقتها بالحضور، فأخذتا معاً تحدثان بعض التغييرات الصغيرة، وتتفحصان قائمة البضاعة، قبل أن تنتقلا إلى مناقشة تصميم الكاتالوج الخاص بهما.

كان عملهما الصباحي مزدهراً إذ أخذت النساء تتوقف أثناء مرورهن للتفرج على المتجر الجديد، بعضهن من باب الفضول، وبعضهن الآخر للشراء.

بعض الزبونات القديمات جلن في المحل، فاشترين ثم حاولن أن يصلحن الصداقة المنقطعة. وكان الدافع إلى هذا السلوك بحسب رأي دانييل، هو الحاجة إلى توطيد تعاطف مع زوجها القوي النفوذ.

ألجأتها النزاهة إلى اتخاذ مظهر مؤدب معهن، فالعمل هو العمل، ونجاح المتجر هو مسألة كرامة.

أخذت كل واحدة منهما فترة ربع ساعة للغداء.. وكان عليهما أن تستلما بضاعة عند العصر. ولكن بعد العصر أحضر لها مدير مبيعات مفاتيح لسيارة «ال بي أم دبليو» التي أوقفها أمام المتجر.

وقبل وقت الإقفال بساعة وقّعت دانييل على مستند من أحد البنوك باستلام محفظة للأوراق تحتوي على دفتر شيكات وبطاقة حساب باسم «دانييل ثالديز».

وأدركت أن ريف يلتزم بدوره في الاتفاقية. وما كان لهذا أن يضايقها إلى هذا الحد، ولكن الواقع أنها انزعجت وحاولت أن تحلل السبب، وأرجعت ذلك إلى أن ريف يمسك بمقاليد حياتها. غير أنّ

الصدق أرغمها على الاعتراف بأنها المسؤولة عن إعطائه هذا الخيار.

وكأنه كان لها خيار!

من ذا الذي يملك ذرة من العقل فيفضل الإفلاس والفقر على بديل نافع ومريح من المال؟

ومع ذلك، كان لهذا ثمن غال، فهل ستتمكن من المحافظة على دورها في الاتفاقية؟

تباً لذلك، فهذا التحليل لم يكن بذي فائدة.. قررت ذلك ثم أخذت تشغل نفسها بإعادة ملء الأدراج من البضاعة التي في الغرفة الخلفية.

أقفلتا المحل الساعة الخامسة والنصف، ونظرتا في إيرادات اليوم، ثم أصدرتا آهة غبطة للرقم المرتفع.

كانت الساعة بعد السادسة عندما دخلت دانييل منزل ريف في توراك. وعلى الفور خلعت بذلة العمل الأنيقة ثم ارتدت مايو سباحة واتجهت إلى بركة السباحة الداخلية.

أقيم على الأرض الخلفية بناء يضم مختلف النشاطات من قاعة مجهزة بالأدوات الرياضية إلى بركة بين الجدران للسباحة وحمام فسيح مع دوش.

وجدت برودة المياه منعشة، فسبحت عدة أشواط ثم أخذت منشفة وذهبت إلى الدوش.

كان العشاء سلطة دجاج أعدته إيلينا التي تركته لهما في الثلاجة ومعه صلصة توابل ما جعل الطعام وجبة لذيذة.

إن هذا البيت واسع جداً بالنسبة لشخص واحد.. أو بالأحرى لشخصين. غرف الطابق الأسفل فسيحة ومثالية للاستضافة. وغرفة الطعام الرسمية تحتوي على ما لا يقل عن اثنتين وعشرين كرسياً قامت حول مائدة مستطيلة، وهناك قاعة الجلوس الرسمية التي

تحتوي على أرائك مريحة واسعة.

حملت دانييل كأس ماء بارد وجلست أمام التلفزيون حيث شاهدت عدة برامج صعدت بعدها لتنام في العاشرة والنصف. متى سيعود ريف؟ سوّت وسادتها محدثة نفسها بأنها غير مهتمة بذلك. وكلما تأخر كان أحسن لها، لأنه سيكون متعباً فلا يزعجها.

ما أكبر حظها! احتجت بصمت وهي تستيقظ من نومها العميق على احتكاك شفتيه بكتفها.

اقترب منها أكثر.. وفي الظلام تعلقت به، معتبرة بهجتها هذه فائدة تغتنمها من وراء هذا المشروع الجهنمي.

وعندما كانا يتناولان طعام الفطور في الصباح التالي، تذكرت دانييل السيارة «البي أم دبليو».

ـ شكراً للسيارة، وللترتيبات مع البنك..

أنهى ريف قهوته وسكب لنفسه كوباً آخر، ثم نظر إليها متأملاً: «مرادي هو أن تشكريني».

ما يعنيه كان واضحاً، وكرهت الحرارة التي ألهبت وجهها. فقال مداعباً: «ما ألذ هذا. امرأة في هذا العصر ما زال وجهها يحمرّ خجلاً».

ـ الموهبة التي لديك هي السبب.

قال بشيء من السخرية: «ذلك جزء من سحري».

فنهضت واقفة: «أخبرت آربين أنني سأذهب مبكرة».

* * *

ازدهر المتجر وزاد انشغال دانييل وأمها، فالأيام الهادئة كانت نادرة. وقابلتا عدة نساء قبل أن تختارا واحدة لدوام غير كامل.

وفي الليل كان هناك ريف.

ونموذج الأسبوع الأول أصبح نموذجاً مألوفاً. إنهما يأكلان في

البيت، ثم يدخل ريف إلى مكتبه، ونادراً ما يخرج منه قبل العاشرة.

أما دانييل فقد استعملت مكتباً كان موجوداً في إحدى الغرف حيث أخذت تراجع عليه الأرقام وكميات البضاعة، منقبة في عدد من مواقع الإنترنيت، بحثاً عن إعلان لمتجر «لافام» والحصول على زبائن في النهاية للملابس الداخلية الفاخرة.

مسودات الكاتالوغ كانت جاهزة، لكنها أرادت التأكد من أنها الأفضل قبل دفعها إلى المطبعة. وظهر أن ريف هو من المحظوظين القلائل الذين بإمكانهم بذل مجهود فائق بحد أدنى من النوم هو أقل من خمس ساعات. هذا مع استمرار نظامه بالنوم معها أثناء الليل.

وفي كل مرة كان يجعل ابتعادها عاطفياً عنه يزداد صعوبة. كان يستخدم مهارته، ويتمهل لكي يتأكد من أن بهجتها تماثل بهجته.

بدا نهار السبت صحواً متألقاً، وامتزجت الحرارة المرتفعة بدرجة رطوبة عالية.

عادة، كان يوم السبت أكثر أيام الأسبوع ازدحاماً بالعمل، لأن أولئك الذين يعملون في المكاتب والحرف، يستغلون قسماً من النهار في التسوّق.

كان يوماً ممتازاً بالنسبة إلى «لين»، مساعدة آرين وكان هذا اليوم رائعاً لدانييل التي هي بحاجة إلى مغادرة المتجر قبل وقت الإغلاق بساعة.

إنها حفلة عشاء، وقد أخبرها ريف عنها في الصباح وهي ستقام في منزل إحدى صاحباته.

لكن دانييل تأخرت في الطريق بسبب حادث سير عنيف، كما أن ظهور الشرطة وتحويل حركة السير استغرق وقتاً.

وكان أن أوقفت سيارتها خارج المدخل الرئيسي بزعقة عالية من المكابح. ركضت تصعد السلم درجتين درجتين، ثم وقفت فجأة في

غرفة النوم وهي ترى ريف يدس قميصه الأبيض الناصع في حزام بنطلونه.

ألقى عليها نظرة جانبية ثاقبة: «لقد تأخرت».

- إذن.. أطلق النار عليّ.

جوابها الوقح هذا أفصح عن كل الضيق الذي بعثه في نفسها الشرطة وسيارة الإسعاف وسيارة الحريق وكل ما تتصوره مخيلتها الحية عن الحادث الأليم الذي قتل فيه أبوها في نفس الوضع.

ضاقت عيناه، فقد بدت وكأنما تقمصها عفريت تقريباً. عيناها أكثر تألقاً من المعتاد، وشعر هو بأن السبب ليس صعودها السلم كدولاب الهواء.

ألقى بربطة العنق التي كان على وشك عقدها، واقترب منها: «ماذا حدث؟».

أسبوع واحد، وتمكن من قراءة أفكارها والغوص في مشاعرها؟ هل هي بهذه الشفافية؟.

- ليس لديّ وقت للشرح.

أمسك بذقنها يميل وجهها إليه: «عدة دقائق لن تؤثر أبداً».

كان الأمر شخصياً وخاصاً لذا لم تشأ أن تتحدث عنه.

- أرجوك، أريد أن آخذ دوش وألبس لأكون جاهزة في ثلث ساعة.

- نصف ساعة لا بأس بها.

لم يتركها، فحدقت إليه باستياء بالغ: «ما هذا؟ استنطاق رسمي؟».

قال بهدوء: «يمكنني بسهولة أن أعرف الأمر، فلماذا لا تخبريني به؟».

- أنت نغل عنيد، أليس كذلك؟

ـ الصفة الثانية صحيحة، أما الأولى فلا.

احتدّت نظراتها: «أنت تجنني».

مرّ بإبهامه على شفتها السفلى فشعر بها ترتجف تحت لمسته: «ما هو الجدير غير هذا؟».

صمدت لحظات قليلة طويلة، ثم اختارت الاستسلام فأخبرته بسبب تأخرها.

ـ وهو شيء ذكرك بموت أبيك.

لقد فسر بهذا سبب ضيقها.

كان يقرر واقعاً، ولم يكن يسأل سؤالاً، ولم تستطع أن تمنع نفسها من العجب لدقة تعقبه حياة ابن «جواكين آلبوا» وحياة زوجته وابنته.

ـ اذهبي وخذي الدوش.

هربت دانييل، واستطاعت أن تخرج بعد ذلك بخمس وعشرين دقيقة وقد أتمت زينتها، مكوّمة شعرها على قمة رأسها مرتدية الثوب الأسود الضيق الكلاسيكي الطراز، بحمالتيه الرقيقتين اللتين أظهرتا كتفيها النحيلتين وعنقها الجميلة.

تغاضت عن تقويم ريف السريع لها وأخذت تثبت القرطين في أذنيها، ثم تناولت حقيبة يدها المسائية وسارت أمامه خارجة من الغرفة.

بالنسبة إلى حفلات العشاء، قررت دانييل أن هذه أكثرها سخاء ووفرة.. هذا ما شعرت به وهي تقف، بعد ذلك بساعة، بجانب ريف يرشفان العصير.

كان هناك خمسون ضيفاً محتشدون في «الڤيراندا» المجاورة للحدائق المضاءة بمصابيح ملوّنة.. وهذه الحديقة بدت مشذبة أحواض الزهور.

النذل بملابسهم الرسمية كانوا يقدمون صواني تحتوي على فطائر لحم ومقبلات وعصائر.

قالت دانييل بهدوء: «نسيت أن أسألك، أهذه مجرد حفلة اجتماعية أم هي حفلة خيرية؟».

ـ للأعمال الخيرية، كما يبدو.

ـ التي تتبرع أنت لها بسخاء؟

ـ أنا أقدم المساعدات لمن يستحق.

بدا مهيباً للغاية في بذلته السوداء الإيطالية التفصيل التي أبرزت عرض كتفيه وجسمه الرشيق.

جعلها هذا تفكر في ما تحت ثيابه هذه. ولم تجد صعوبة في أن تتذكر هذا الجسد القوي المتناسب.

تقدم إليهما أحد الضيوف، وبعد التحية، اشتبك مع ريف في حديث عن العمل.

رحبت دانييل بهذا الإلهاء عن أفكارها، ثم اعتذرت وتقدمت نحو نادل لتعيد ملء كأسها بعصير الكرز.

طرق سمعها أجزاء من حديث لا معنى له، ثم أخذت كأس المياه المعدنية المبردة عندما سمعت شخصاً يذكر اسمها.

التفتت، ثم ابتسمت بأدب، إنها كريستينا التي صقلها الثراء والنشأة الراقية وثقافة المدارس الخاصة.

ـ أنت بلا شك مستمتعة بهذه النشاطات الاجتماعية التي عدت إليها بعد...

ثم سكتت بشكل ذي معنى لتعود فتكمل: «بعد ذلك الغياب السيء الحظ».

حدثت دانييل نفسها بأن تتوخى الحذر، والسلام، وتتصرف بأدب وبساطة فقالت: «نعم».

تحول شيء في عيني كريستينا: «غريب كيف استطعت أنت وأمك تغيير اتجاه الحظ هذا».

ـ نعم، أليس هذا غريباً؟

ـ ماذا فعلت يا عزيزتي؟ بعت نفسك؟

بعد هذا القول أصبح بإمكانها أن تصبح لئيمة: «إذا كان هذا صحيحاً، ما دخل الزواج في هذه المعادلة؟».

ـ إنه شيء على لسان كل شخص.

استطاعت دانييل أن تبتسم ابتسامة باهتة، وامتنعت عن التعليق، لكن كريستينا ألحت عليها: «أخبريني إذن لماذا تزوجك أنت بالذات؟».

ـ ربما عليك أن تسألي ريف.

ـ لا يمكن أن تكوني مغرية إلى هذا الحد.

كان في هذا الكفاية. الحديث المهذب شيء، والتعليقات الحقيرة شيء آخر: «لا يمكن؟».

تصنعت الشقراء التخمين في نظراتها: «هل أنت قادرة على مجاراته في ذلك يا عزيزتي، فهو شبق جداً».

رسمت دانييل على فمها ابتسامة حالمة: «أمم.. ألا ترين هذا، فعلاً؟».

لقد اكتسبت عدوة. وإذا كان لديها أي شك في هذا، فالغيرة المفاجئة التي بدت على وجه كريستينا أثبتت ذلك.

قالت كريستينا بتمهل مقصود: «المعلوماتك فقط، خاتم الزواج في إصبع الرجل لا يزعجني أبداً».

ـ وأنت ستنتظرين أن أفقد حظوتي عنده لكي تمسكي به؟

ـ سيحدث ذلك، يا حبيبتي، لأن ريف لا يثبت طويلاً مع امرأة واحدة.

ـ حسناً، قد أكون أنا المستثناة في القاعدة.

أخذت تنظر إليها بطريقة هي أقرب إلى الإهانة: «أشك في ذلك كثيراً».

ـ ما هذا الذي تشكين فيه يا كريستينا؟

وكان هذا سؤالاً مطاطاً من ريف الذي اقترب منهما على حين غفلة.

تماسكت الشقراء بسرعة: «كنا نتحدث عن متجر «لافام» يا عزيزي، لأن وضعه الجديد يبشر بنجاح باهر».

أقرت دانييل، بصمت، أنها ماهرة حقاً، وتساءلت إن كان ريف سيصدق كلامها.

ـ عن إذنك.

وأمسك بيد دانييل يشبك أصابعه بأصابعها، ثم رفع يدها يقبلها، منتزعاً منها بذلك نظرة حادة: «هل تحطمت سيطرتك على نفسك، يا ريف؟».

حاولت أن تجذب يدها من يده لكن أصابعه اشتدت، فقالت: «تمسك بالانضباط يا ريف، يمكنني العناية بنفسي».

ـ إن لكريستينا غريزة سمك القرش المفترس.

ـ إن عينيها عليك.

قال بجفاء: «بل على حسابي في البنك».

نظرت إليه بإمعان، وقد أثارت ملامحه الجانبية فضولها. كان وجهاً قوياً، بفكه القوي وجبهته الواسعة وأنفه المتناسق.

قالت له بعذوبة مصطنعة: «يسرني أن أعلم أنه من غير السهل خداعك».

ابتسم، فخفق قلبها وهو يبدو، بهذه الابتسامة، كالصبي. رغم أنها تشك في أنه عرف قط فترة الصبا. فقد انتقل مباشرة من طفل إلى

رجل، صاغه قانون البقاء الخشن. وقال ضاحكاً: «لديك لسان وقح».

قالت برزانة: «تلك إحدى مواهبي».

ـ مضيفتنا على وشك أن تعلن عن جهوزية مقصف الطعام.

كانت الوليمة الفاخرة مقامة على مائدة ممتدة، فنقلت دانييل عدة لقيمات إلى صحنها.

حفلة الليلة سارت على المنهاج المألوف، تقديم الشراب والطعام إلى الضيوف، سامحين للوقت بأن يمرّ جاعلين الضيوف مسترخين ناضجين ليستطيعوا البدء بالموضوع الرئيسي.

أما الموضوع الرئيسي حالياً فكان (أشياء جديرة بالتذكر) للبيع بالمزاد العلني:

طقم كؤوس بلورية قيل إنها عائدة إلى أحد الملوك الأوروبيين، وقلادة من الأحجار الكريمة قيل إن زوجة رئيس وزراء سابق لبستها في مناسبة رسمية حضرها أمير عربي.

لفت نظر دانييل شيء معروض هو علبة مجوهرات مميّزة فيها سوار ماسي بالغ الدقة والاتقان، مصنوع باليد وبتصميم فريد. وأدركت أنها هدية قدمت إليها منذ أربع سنوات في عيد مولدها الحادي والعشرين. ولكنها باعت الإسوارة منذ عام واحتفظت بالقرطين الملائمين لها من باب العاطفة.

لماذا كان السوار هنا؟ ومن الذي..؟ لا يمكن أن يكون هو. وألقت على ريف نظرة ثاقبة، لكنها لم تتأكد من شيء من ملامحه.

وبدأ المزاد. وعرض السوار بصفته ملكاً لأسرة أسبانية أرستقراطية.

بدأ ريف بالمزايدة. وساهمت كريستينا في ذلك، جاعلة المزايدة تزداد حدة وضراوة. وانضم آخرون إلى ذلك. وسرعان ما وصل إلى

مبلغ هبط معه المزايدون إلى شخصين. وكل مبلغ دفعته كريستينا، ارتفع ريف فوقه إلى أن توقفت كريستينا عن المزايدة على ريف.

هل كانت نية ريف أن يهزم كريستينا أمام الناس؟ لم يفت أكثر الموجودين الترابط بين مزايدته على السوار وبين صاحبته الأساسية.

ارتفعت القائمة، واحتدت المزايدة، وارتفع الثمن إلى مبلغ معتبر، كان المستفيد منه مبرّة مختصة بإمداد الأطفال المرضى بأمراض مستعصية. وحفلة هذا المساء هي لتمويل رحلة إلى «مدينة ديزني» لفتاة صغيرة مريضة بسرطان الدم برفقة أمها وممرضتها.

بعد ذلك قدمت القهوة التي دفع ثمنها المزايدون الناجحون ثم طلبوا مشترياتهم.

عاد ريف إلى جانبها، وأخرج سوارها من علبته ووضعه حول معصمها قائلاً بهدوء: «إنه سوارك».

مرت بأناملها على حجارته الثمينة: «شكراً، كان هذا لجدتي لأبي».

رمقها بنظرة فاحصة: «كانت بين مجوهرات اشتراها وكيلي».

وهي المجوهرات التي اضطرت هي وأمها إلى بيعها: «لماذا تعود فتشتري شيئاً سبق أن تبرعت به؟».

ـ ربما نزوة طارئة.

لكن دانييل تشك في أنه يقوم بأي عمل بتأثير نزوة طارئة. فقد كان ماهراً بوضع الخطط التي تدر عليه الربح.

بدأ الضيوف بالخروج، ووقفت هي مع ريف يشكرون مضيفيهم، ثم سارت معه نحو السيارة.

كان مساءً صيفياً معتدلاً، فيه السماء دكناء مرصعة بالنجوم والهواء منعش يبشر بيوم ممتاز غداً..

لم تطل الرحلة إلى البيت. وحالما أدخل ريف السيارة إلى

الكاراج، نزلت دانييل منها واتجهت إلى الردهة.

حمدت الله لأن اليوم التالي كان الأحد، فلم تكن بحاجة إلى مسابقة الساعة أو زحمة السير. وتطلعت إلى يوم تمضيه بشكل هادىء، يوم تراجع فيه بعض حسابات المتجر، مخصصة جزءاً منه لشرب القهوة مع أمها.

صعدت إلى الحمام في الطابق الأعلى، وخلعت حذاءها ذا الكعب العالي كالمسمار، ومدّت يدها تفتح سحاب ثوبها على الظهر وإذا بأصابع ريف تكملان عنها العمل.

ثم أدارها لتواجهه فوقفت جامدة تنظر إليه. أحاط وجهها بيديه ثم بدأ يعانقها بطريقة مغرية ثم تحوّل العناق إلى عنف وتملك. وأخذت تشعر بخفقات قلبها تدوي دوياً يكاد يصمّ أذنيها.

كان ما بينهما من مشاعر من القوة بحيث تكاد تأخذ بعقله.

وأخذت تمرر إصبعها على صدره، وأبهجها أن تسمع جذبه الحاد لأنفاسه.

ـ عندما تنتهين من اللعب..

اللعب؟ ثم عانقته واشتد احتضانها له..

استلقت أخيراً بقربه وفكرت: هل سيبقى الأمر بينهما دوماً بهذا الشكل؟

يمكن للمرأة أن تدمن هذه المشاعر التي تشاركا فيها لتوهما. وبإضافة الحب، سيصبح ذلك مادة متفجرة.

مع أنها أقسمت أن تكرهه، كان جسدها على خلاف مع عقلها، ليصبح في النهاية أداة منسجمة تحت لمساته الماهرة. لذلك وحده، كانت تريد أن تكرهه من جديد، وتكره نفسها لعدم سيطرتها على نفسها.

وهي على وشك النوم، شعرت بشفتيه على جبينها، فتنهدت وقد منعها الوهن من الاحتجاج.

٦ ـ كذابة!

استيقظت دانييل وحدها، وأخذت تتمطى وهي تفكر في دفن رأسها في الوسادة لساعة أخرى، ثم ما لبثت أن غيرت رأيها.

كانت الشمس مشرقة والنهار كله أمامها، فنوت أن تكرّس جزءاً منه لإتمام سجلات المتجر «لافام» أولاً.

مضى دهر منذ قامت بتسوّق جاد، وسيرها في منهاج زوجها الاجتماعي جعلها بحاجة إلى حذاء رسمي وثوب جديد.

دخلت الحمام واغتسلت وارتدت بنطلون جينز وقميصاً قطنياً ونظمت غرفتها ثم نزلت إلى المطبخ.

جلست تأكل فاكهة وحبوباً، دون أن تعلم أين ريف. في المكتب؟ قاعة الرياضة؟

سكبت لنفسها فنجان حليب آخر، وتصفحت صحف الأحد، ثم حملت حقيبة أوراقها وجلست إلى مائدة الطعام غير الرسمية في غرفة المائدة وبدأت العمل.

وهناك وجدها ريف بعد ذلك بساعة وهو يدخل المطبخ بعد جولة في قاعة الرياضة.

ـ صباح الخير.

رفعت رأسها، شاعرة بقلبها يخفق عالياً وهي تراه في ملابس الرياضة: «مرحباً».

سار إلى الثلاجة وأخرج زجاجة ماء مثلج شرب نصفها قبل أن يتحول إليها: «سأرتب أمر تحويل إحدى غرف الطابق الأعلى لتكون مكتباً لك».

ـ هذا ليس ضرورياً، فأنا أحب حرية الحركة بحيث أقوم بالعمل في أي مكان. وضبط الحسابات لا يأخذ من وقتي سوى عدة ساعات أسبوعياً.

هكذا كان الحال الآن على الأقل.

ألقى عليها نظرة ثاقبة: «أسهل عليك أن يكون لك مكتب خاص».

إنّ عليها أن تكون شاكرة، فلماذا تشعر بهذا الاستياء؟

أنهى ريف زجاجة الماء ثم خرج من الغرفة.

بعد ذلك بساعة جمعت دانييل أوراقها في الحقيبة وأخذتها إلى غرفتها.. نظرت إلى ساعتها، ثم أخذت حقيبتها ومفاتيح السيارة وذهبت تبحث عن ريف لتخبره بأنها خارجة.

لكنها لم تجد له أثراً، فكتبت ورقة وضعتها له على مائدة المطبخ ثم اتجهت إلى الكاراج.

أول مكان ذهبت إليه كان ضاحية «برايتون» حيث أوقفت سيارتها في الموقف، ودخلت مقهى تناولت فيه قهوة «كابوتشينو»، وبعد ذلك طافت على المتاجر.

كانت على وشك دخول متجر، عندما رن تليفونها الخليوي. فرفعته إلى أذنها.

ـ أين أنت؟

كان هذا صوت ريف، فعدت ثلاثاً قبل أن تجيب: «في برايتون أمام متجر للألبسة».

ـ جملتك التي تقولين فيها في الورقة إنك (غير متأكدة متى

ستعودين) هل تعنين بعد الظهر أم في المساء؟

ـ وهل هذا مهم؟

ـ أجيبي عن سؤالي يا دانييل.

ـ لم أعلم أنني بحاجة إلى إذن منك للخروج من المنزل.

ـ لا تختبري صبري، همم..

وكان صوته خطراً. فقالت بعذوبة مصطنعة: «أتراني أفعل ذلك؟».

ـ هل كنت ستواجهينني بهذه الشجاعة لو كنت الآن أمامك؟

ـ تأكد من هذا.

أطلق ضحكة خافتة خشنة أرسلت قشعريرة في جسدها: «هل نبدأ مرة أخرى؟».

لم تتظاهر بأنها لا تفهمه: «المساء. لكنني سأذهب إلى أمي».

ـ الساعة السادسة يا دانييل، سنأخذ أمك إلى العشاء.

أنهى المكالمة فاتصلت بأمها ونقلت إليها الدعوة.

ـ كلام فارغ يا عزيزتي. سأكون مرتاحة أكثر لو تعشينا هنا.

لم تكن دانييل واثقة من حسن رأي أمها بالنسبة إلى (الارتياح) لأن ماما العزيزة ستطلق العنان لقلبها المحب، دون شك، ليدرس سراً حالة زواج ابنتها.

ـ سأطهي طعاماً استثنائياً.

هذه كانت العادة ما دام بإمكان آريين الاستضافة، فقالت دانييل مستسلمة: «أتريدين أن أحضر معي شيئاً؟».

ـ أحضري خبزاً طازجاً وبعض الخس.

ـ سأحضر باكراً وأساعدك في التحضير.

ـ لا، سأكون مسرورة إذا جئت بصفتك ضيفة.

أنهت دانييل المكالمة، ثم كرست الساعات التالية لشراء ثوب

وحذاء.

كانت الساعة بعد الرابعة عندما ذهبت إلى منزل أمها، تحمل أزهاراً وخبزاً وخساً.

داعبت خياشيمها رائحة شهية في المطبخ، ثم حيت أمها، وعندما أخذت تحرك محتويات القدور على الموقد لمحت اللمعان في عيني أمها.

قالت لها بحنان وهي تقدم إليها الأزهار، ثم تأخذ فوطة مطبخ تلفها إزاراً حول وسطها: «هذا لك، والآن، ماذا عليّ أن أفعل؟».

أخذتا تعملان معاً سعيدتين لمدة ساعة، وبعد أن تأكدتا من أن كل شيء على ما يرام، وأن المائدة جاهزة بأدواتها، قالت آريين: «حان وقت أخذ استراحة».

رن التليفون الداخلي، ففتحت آريين الباب الخارجي ليدخل ريف إلى المبنى. وبعد دقائق رن جرس باب الشقة ففتحت له الأم الباب بينما كانت دانييل تضيف كؤوس الماء إلى المائدة.

سمعت صوته العميق ذا اللكنة الأميركية الخفيفة وأحست بالسرور في تحية آريين له.

دخلت دانييل إلى غرفة الجلوس، باسمة، وبدا التحفظ على ملامحها عندما تقدم إلى جانبها وأمسك بوجهها بين راحتيه.

ـ ماذا تفعل؟

ـ أقبل زوجتي.

أرادت أن تصفعه، لكنه أدرك ذلك، تباً له! فقد كان الهزل بادياً في هاتين العينين السوداوين وهو يقبلها برقة وهي لفتة أثارت اضطرابها وجلبت الاحمرار إلى وجنتيها.

كانت لفتة مقصودة يريد بها أن يغذي تصورات أمها، فقد كان هذا هدفه بالضبط.

قالت آريين: «فكرت في أن نأكل هنا، وستكونان أول ضيوفي».

وألقت على ابنتها نظرة متألقة، ثم قالت لريف: «ماذا تريد أن تشرب يا ريف؟ ما رأيك بالكولا؟».

كانت الوجبة ناجحة. فمهارة أمها في الطهي ملحوظة.

أمضوا معاً عدة ساعات سارة مريحة، وأخذت دانييل تنظر إلى تزايد الإلفة بين ريف وأمها، بشيء من الحذر.

أراد جزء منها أن يحذّر أمها من هذا الرجل القادر على تحويل الظروف بحسب مشيئته. وأراد جزء آخر أن يعلم أمها بأن المودة التي يظهرها لها ريف ما هي سوى تمثيل ومن المضحك أن تظن غير هذا.

إظهاره الاهتمام بالصور الفوتوغرافية المؤطرة الموضوعة على مختلف قطع الأثاث في غرفة الجلوس، جعل آريين تبحث في أحد الأدراج عن مزيد من «ألبومات» الأسرة أما دانييل فوجدت في إعداد القهوة ذريعة للغياب.

عملت بتمهل، مضيفة طبق بسكويت مالح وجبن إلى أن انتهت القهوة ولم تعد لها حجة في التأخر فعادت إلى غرفة الجلوس.

لم يتحقق أملها بأن تجد ألبوم الصور موضوعاً جانباً، وتألمت وأمها تستعيد، بحنين، ذكريات الإجازات التي أمضوها في المنتجعات الأجنبية وصور مختلف المناسبات الخاصة التي التقطت لهم في مختلف المراحل أثناء حياتها.

كانت هذه معلومات شخصية جداً وهذا ما جعلها تشعر بالضعف.

وعندما أعلن ريف أن عليهما أن يذهبا، قالت آريين بحماسة: «يجب أن نكرر هذا مرة أخرى».

قال موافقاً: «بالتأكيد، وبصفتك ضيفتنا، ستخبرك دانييل بالتفاصيل».

بقيت صامتة وهما ينزلان إلى موقف السيارات، وانتظر ريثما استقلّت سيارتها وانطلقت بها، فتبعها بسيارته.

وصلا إلى بيتهما تفرق بينهما ثوانٍ قليلة، وجمعت دانييل أكياس مشترياتها، ثم دخلت البيت متجهة رأساً إلى الطابق الأعلى.

ـ أمك امرأة ساحرة.

ـ نعم، هي كذلك.

تبعها إلى غرفة النوم وأخذ يفك ربطة عنقه: «سأحرص على أن تتضمن بعض دعواتنا آريين».

وضعت الأكياس ثم خلعت حذاءها: «أنا أعلم أن هذا سيعجبها».

خلعت ساعة معصمها والسلسلة الرقيقة الذهبية من عنقها، ثم دخلت الحمام.

دوش بطيء ثم السرير. غداً هو يوم آخر، وهناك بضاعة مفروض وصولها. بعدما استحمت خرجت إلى الغرفة ثم دخل هو أيضاً ليستحم.

انفتح الباب وعاد ريف إلى الغرفة، ثم استلقى قربها على السرير.

بعد قليل أمسك بكتفيها وأدارها بعيداً عنه، ليقول: «هناك صورة في الألبوم تظهر علامة ولادة حلوة للغاية».

وأخذ يمر بإصبعه على كتفها: «إنها في هذا المكان. آه، نعم، ها هي ذي، كيف لم ألحظها من قبل؟».

أفلتت دانييل من قبضته، لكنه عاد فأمسك بها وأدارها لتواجهه. ودون أن تفكر ضربته براحتها على كتفه، ثم بقبضتها على صدره: «إياك».

جمدت عيناه وتبدد المرح منه وكأنه لم يكن: «أنت تدوسين

أرضاً خطرة».

رفعت إليه عينين عنيفتين: «كيف سيكون شعورك لو فحصت ما فيك من عيوب؟».

ـ كنت سأفرح.

ـ آه! صدقتك.

ـ أتريدين أن تجعلي من هذا قضية؟

ـ نعم، تباً.

ـ ولماذا وليس لديك أمل في النجاح؟

ـ هذا لا يمنعني من أن أحاول.

ما الذي حدث لها؟ إن الجدل معه هو جنون.

ـ ما الذي ترجين من وراء ذلك؟

انتزعت نفسها منه بعنف: «إذا لم يكن لديك مانع، أفضل ألا تستعملني لحاجاتك الليلة».

عاد يجذبها إليه وأمسك برأسها يميله إليه فاضطرها بذلك إلى مواجهة نظراته: «وإذا كان لدي مانع؟».

ـ يمكنك أن تذهب إلى جهنم.

ساوره إغراء بأن يخضعها لإرادته في هذه اللحظة لكي يريها الفرق بين الأخذ والاستمتاع، وكاد يفعل. لكنه خفض رأسه وعانقها بطريقة هي قصاص لها أكثر منها رغبة في إرضائها. كان يريد استجابتها الخاضعة، وعمل على ذلك حتى شعر باستسلامها.

لم تنتبه إلى مرور الوقت، وبدا كأن دهراً مرّ قبل أن تريح رأسها على صدره.

وبينما كانت تستسلم للنوم، شعرت، بشكل غامض، أنه أمسك بيدها ورفعها إلى شفتيه.

انشغلت دانييل في الأيام القلائل التالية. فقد غيرت شكل واجهة

المتجر ما أكسبها الثناء عدة مرات.

ازدهر العمل رغم أن يوم الأربعاء أثبت كثرة المشاكل فيه.

لم يحضر ناقل البضائع في جولته الصباحية كما وعد كما أن العميل جاء إلى المتجر قبل الغداء متوقعاً أن يأخذ طلباتها الخاصة، وعندما رأى أن ذلك غير موجود غضب كثيراً، ولم يفلح الاعتذار كثيراً في تهدئته، ولكنها وعدته بأن تكون الطلبات موجودة عند العصر. لكن هذا لم يحدث وهذا ما جعل العميل يتهم متجر «لافام» بالإهمال وعدم المسؤولية وهدّد بسحب تعامله معه إلى مكان آخر.

اتصلت دانييل تليفونياً بالمموّن، فأخبرها أنهم تلقوا إلغاء لذلك الطلب بالذات وأن هذا هو السبب في عدم إرساله.

بعد نقاش سريع مع آريين تبين أن أي واحدة منهما لم تلغ الطلب وأن الموظفة «لين» مستثناة من هذا لأنها لم تعمل سوى يوم الخميس والجمعة والسبت، وقد جاء الأمر بالإلغاء يوم الاثنين بالفاكس، واليوم هو الأربعاء.

ـ أية فكرة؟

نظرت دانييل إلى أمها مفكرة: «قد أكون مخطئة».

ـ تخريب؟

ـ أكره أن أظن هذا. علينا من الآن وصاعداً أن نثبّت كل طلب بالبريد الالكتروني مع كلمة سر نتفق عليها نحن الثلاثة، أنا وأنت والمموّن.

وأمسكت بالتليفون ورتّبت هذه الاتفاقية.

ومع ذلك، فقد أزعجها هذا الأمر، لأن تجديد موقع المتجر أثبت نجاحاً باهراً. فقد كان يستورد مجموعة كبيرة من البضائع الهامة، وكان التشجيع جيداً.

فإذا كان هناك تخريب، فمن يكون الفاعل إذن؟

كريستينا؟ هل بلغ بها الحقد هذا الحد؟ ولم تحب دانييل هذه الأفكار. إذا كانت كريستينا هي المسؤولة عن هذا العمل فإن عليها أن تحصل على برهان لا يمكن دحضه قبل أن تتخذ أي عمل تجاه ذلك، فالشكوك والافتراضات غير كافية.

شغل هذا بالها وهي في الطريق إلى البيت، فأضاف ذلك حدة إلى تصرفاتها، وشعرت بأنها بحاجة إلى نشاط جسدي بالغ لتتخلص من طاقتها العصبية المفرطة هذه.

فكرت في الذهاب إلى قاعة الألعاب الرياضية، ثم السباحة في البحيرة عدة أشواط، ولم تضيع وقتاً قبل أن ترتدي البيكيني وفوقه شورت وقميصاً قطنياً مقفلاً، ثم تهبط السلم.

كانت قاعة الرياضة فسيحة تحتوي على مختلف الأجهزة الرياضية. وكانت هناك خزانة في الجدار تحتوي على مختلف أنواع الأسلحة العسكرية.. بينها واحد على الأقل غير قانوني، إلا إذا كان فيه رخصة.

ـ هل أعجبتك مجموعتي؟

إنه يمشي كالنمر.. فاستدارت ببطء تواجهه وكان في ملابس رياضية: «هل أنت من محبي الفنون العسكرية؟».

تقدم إليها برشاقة لا يمتلكها معظم الرجال: «هل يدهشك هذا؟».

ـ لا.

ما يدهشها فيه كان قليلاً جداً. كانت فيه مزيّة لم تستطع تحديدها بدقة.. هي انسجام بين العقل والروح.

نظر إلى ملابسها: «أتريدين أن تتمرني؟».

قالت بإيجاز: «أريد أن ألكم شيئاً ما».

لاحظ توتر صوتها فاستغرب الأمر: «هل تحبين أن تخبريني

بالسبب؟».

ـ ليس تماماً.

كبح شعور التسلية وهو يسأل: «أي زوج من قفازات الملاكمة تريدين؟».

ـ أنا جادة.

ـ هذا سيء.

وتملكه إغراء في أن يحوّل الغضب في صوتها إلى مشاعر محمومة، ليستمتع بذلك.

لكنه بدلاً من ذلك تقدم إلى خزانة في الجدارِ وأحضر قفازي ملاكمة وعاد بهما إليها: «أعطيني يديك».

ألبسها إياهما، ثم سار إلى الكيس المحشو الذي ستتدرب عليه وسألها: «هل سبق أن استعملت واحداً من هذه؟».

قالت وهي تتبعه: «لا، لكنه مناسب».

ـ تضربينه بدلاً ممّن؟

بقيت صامتة عدة ثوانٍ: «أنا لست واثقة بعد».

ـ باشري إذن.

وفعلت، إلى أن أوقفها بعد سلسلة من اللكمات، وعندما خلعه من يديها، سارت نحو «دوّاسة الركض الدائري» ووضعت الإبرة على سرعة متوسطة ثم أخذت تتمرن عليها حتى شعرت بالاكتفاء.

كان ريف على مرمى البصر منها، ولم تستطع إلا أن تعجب بسلسلة تدريباته العسكرية، إنه منضبط تماماً أثناء التدريب، مهلك أثناء القتال.

استهلكت طاقتها، فتركت الألعاب الرياضية وتوجهت نحو البحيرة داخل الجدران.

وفي ثوان قليلة أصبحت في المايو البيكيني، فغاصت في المياه

البلورية.

أخطأت دانييل عدد الأشواط التي سبحتها قبل أن يبرز بجانب رأسها رأس أسود. فقد جعل ريف سرعته تعادل سرعتها.

ومضت فترة قبل أن تدعوه إلى التوقف، ثم اتجهت إلى نهاية البحيرة.

ـ هل اكتفيت من السباحة؟

ـ نعم.

ـ وشعرت بتحسن؟

ـ نوعاً ما.

ـ فلنخرج من هنا إذن، فنأخذ الدوش ثم نذهب لنأكل.

خرجت من البحيرة ثم تناولت منشفتها: «أنا سأطهي الطعام».

ـ يمكننا أن نتعشى في الخارج.

ـ يمكنني أن أطهي «بفتيك» رائعاً مع السلطة.

وأخذت تعصر شعرها: «لقد وضعت إيلينا في الثلاجة خبزاً تركياً رائعاً، ثق بي».

أكلا على الشرفة حيث كان المشهد هادئاً ساكناً. يطل على مناظر المروج بأسيجتها المنتظمة الأنيقة، ومختلف الأحجام المزدهرة ومجموعات الأشجار القصيرة.

خطر ببال دانييل فجأة كيف سيكون الأمر عند وجود أطفال.. سيكون هناك أراجيح، وخشبة للتزحلق، وأنواع من الألعاب لخارج البيت. كلب محبوب يجلب الحب والضحك، وقطة داخل البيت تنام متكورة على أفضل المقاعد. وغرفة الأطفال مع سرير للطفل، وسرير عادي، ورفوف الكتب والألعاب. حصان خشبي هزّاز وكرسي هزاز يمكنها أن تجلس عليه مع طفل بين ذراعيها.

طفل.. سبب هذا الزواج.

أيمكن أن تكون حملت الآن؟ هذا ممكن ولكن، بناء على حساباتها، هذا لم يحدث على الأغلب.

متى سيحدث هذا؟ وصعدت في حلقها ضحكة صامتة ثم ماتت.

ـ تقول آربين إن ازدهار العمل ما زال في ارتفاع.

ـ نعم.

ـ هل لديك أي اعتراض على رأيها؟

كان سريعاً، أسرع مما ينبغي كما لاحظت وهي تنتبه إلى نظرته الذكية. هل نسيت أمها غموض إلغاء الطلب والغضب الناتج عن ذلك من العميل الساخط، وهل ينبغي لها ذلك؟

كان جزء منها يريد منها أن تتعامل مع هذه المسألة بمفردها. من المؤكد أن هذا غير صعب، حتى ولو أزالت كريستينا آثارها.

ـ لا.

قالت هذا. كان نجاح المتجر بالغ الأهمية، سواء لها أم لآربين. فالقضية قضية كرامة.

ـ ولكن...

ـ لماذا تتصور أنني أخبىء شيئاً؟

لم ترد أن تبدو بهذه السخرية، لكن كريستينا وإمكانياتها المثيرة للمتاعب كانت تشعرها بالمرارة والألم.

مال ريف إلى الخلف في كرسيه وأخذ يتأمل ملامحها، ثمة شيء يزعجها، وهو ينوي أن يعرف ما هو.

ـ سنذهب مساء السبت إلى معرض للصور الفوتوغرافية في «غاليري سيمبسن»

ـ هل تساير المواعيد الاجتماعية للأسبوع القادم؟

ـ نعم.

ـ يا للمتعة!.

ـ لا تسخري.

ـ ربما كل ما في الأمر أنني لا أحب استعراض نفسي.

ـ مع الوقت، سيصبح زواجنا خبراً قديماً.

هذا صحيح، ولكن ليس مع شبح كريستينا الذي يلوح دوماً في الخلفيات.

ـ والأحد نحن مدعوان عند العصر مع أصدقاء لعدة ساعات. «فوليبول» على الشاطىء يتبعه شواء.

ـ ماذا لو كان لدي خطة أخرى تخصني؟

ـ يمكننا الوصول إلى تسوية.

ـ ماذا عن حضور فيلم في السينما؟

ـ سنكون في ساحل الذهب، الأسبوع القادم.

ـ عفواً، سنكون؟

قال بصبر: «لدي عمل هناك».

ـ لا يمكنني أن أترك المتجر.

ـ بل يمكنك ذلك. ستشتغل «لين» مكانك الخميس والجمعة.

تمنت لو تضربه: «كنت أفضل لو تحدثت عن هذا معي أولاً».

كانت الشمس تدنو للمغيب، معتمة المشاهد. فأضاء جهاز استشعار متحكم عن بعد، منيراً الأرض بوهج ناعم.

نهضت واقفة دون كلمة أخرى، ثم أخذت تجمع أدوات الطعام والأطباق الصينية لتأخذها إلى المطبخ حيث أعادت تنظيمه خلال دقائق ثم أسرعت صاعدة إلى غرفتها تتناول حقيبة يدها ومفاتيح السيارة.

شعرت بحاجة قصوى إلى الانفراد بنفسها ولو لساعة واحدة.

ـ هل أنت خارجة؟

التفتت دانييل فرأت ريف واقفاً عند عتبة غرفة النوم: «نعم».

ـ سأحضر سترتي.

لمعت عيناها غضباً: «سأذهب وحدي».

قال بصوت حريري خالص: «سأذهب معك وإلا فلن تذهبي أبداً».

ازداد غضبها: «لا أريد أن أكون بقربك حالياً».

ـ كلام فارغ.

ـ تباً لذلك! لا يمكنك أن..

ـ بل يمكنني.

ـ لماذا تضخم هذا الأمر؟

سألته هذا، ساخطة، وهي تراه يدخل الغرفة قائلاً: «لأن ليس لديّ نساء يخرجن ليلاً وحدهن».

ـ أنا لست امرأتك.

بدت على فمه ابتسامة باهتة: «بل أنت كذلك».

ـ ليس بأي مفهوم.

كانت من الغضب والضيق بحيث كادت تبصق، وهذا ما أشعره بالتسلية. أحضر سترة علقها على كتفه: «فلنذهب».

ـ لقد غيرت رأيي.

ـ يمكننا أن ننام باكراً.

كان قصده واضحاً. فقبضت يديها بغضب: «الجنس. هل هذا كل ما تفكر فيه؟».

ـ معك ليس صعباً.

اندفعت، دون وعي، ترفع يدها لتصفعه ولكنه أمسك بيدها قبل أن تصل إلى وجهه.

وببطء، ألقى بسترته على كرسي، ثم جذبها إليه وانحنى يقبلها قبلة تأديبية وصلت إلى أعماق روحها.

أخذت تقاومه في البداية، تضربه بقبضتها على ضلوعه وظهره وعلى كل مكان أمكنها الوصول إليه، ولكن دون فائدة إذ كان يشدّد احتضانه لها.

بقيت تقاومه بقوة ما لبثت أن أخذت تضعف عندما تقبّل عقلها ما سبق أن تقبّله جسدها.

الرغبة في التجاوب معه، قهرتها، ومعرفتها هذه جعلتها تتأوه بيأس وهي تحاول أن تنتزع نفسها من قبضته.

تمكنت من ذلك فقط بعد أن أطلقها. وتراجعت خطوة وهي تحاول السيطرة على أنفاسها المتسارعة.

ـ هل نذهب أم نبقى؟

بدا غاضباً وهذا ما زاد في غضبها، فنظرت إليه هائجة «أنا خارجة، وحدي».

ـ لقد سبق أن حدث هذا المشهد بيننا، ولا أظنك تريدين القيام به مرة أخرى.

ـ أنت لست سجّاني!

وانطلقت بسرعة تهبط السلم، وكانت سيارتها في الكاراج فاستعملت جهاز التحكم عن بعد لرفع بابه الأوتوماتيكي، ثم اندفعت إلى مقعد القيادة من السيارة وأدارت المحرك.

وفي تلك اللحظة انفتح الباب بجانبها ودخل ريف يجلس عليه.

كان ريف يشك في أن في ذهنها أي مكان تريد الذهاب إليه، لكنه لم ينطق بكلمة وهي تخرج بالسيارة من البوابة وتتجه إلى قلب المدينة.

توجهت إلى ضفاف النهر. فقد كان هناك مقاهي كثيرة وحانات عدة لتختار منها، وهذا سيسعدها لأنها ستكون خارج جدران البيوت وبعيدة عن مراقبة الناس.

وربما إذا تجاهلت ريف يمكنها أن تدعي بأنه غير موجود.

لكنها سرعان ما أدركت خطأ حساباتها عندما اختارت مقهى واختارت مائدة خارجية جلست إليها ثم طلبت قهوة، وإذا بريف يشير للنادل طالباً قهوة سادة له ثم يجلس أمامها يتأملها.

ـ هل سنجلس صامتين أم نتحدث؟

قابلت نظراته بهدوء: «يمكنك اختيار الموضوع».

ـ ما الذي يزعجك؟

ـ أنت تزعجني. فأنت تضع خططاً دون استشارتي ثم تنتظر مني الموافقة.

ـ موافقتك هي جزء من الاتفاقية التي بيننا.

أظلمت عيناها: «طبعاً، وعلينا ألا ننسى (الاتفاقية)».

لم تتغيّر ملامحه، وهو يقول برقة وبطء: «حذار، يا عزيزتي».

أحضر النادل قهوتهما، فأخذ ريف يرشفها متلذذاً.

ـ لا أريد أن أترك المسؤولية كلها على أمي في المتجر.

كانت أمها أكثر من قادرة على ذلك، وفي الأحوال العادية لم تكن لتتردد في الغياب عدة أيام. لولا شعورها بأن كريستينا تهدف إلى القيام بعمل مؤذ، لما فكرت في الأمر البتة، والحقيقة أنها كلما فكرت في ذلك، كلما ازداد اقتناعها بأن تلك الشقراء وراء ما حدث اليوم في المتجر.

وكان اهتمامها منصباً على ما تخطط له كريستينا غير هذا.

ـ يومان ليسا الحياة بطولها.

ولأن كلامه صحيح لم يخفف من قلقها: «أنت لن تذعن أليس كذلك؟».

ـ لا.

نظرت إليه، فرأت العناد في عينيه. إنه رجل لا يعاديه شخص

عاقل.

ودون كلمة أخرى، أنهت قهوتها، ثم نهضت وأخرجت من حقيبتها ورقة مالية ما جعل ريف يضع يده على يديها: «أنت تبالغين في الاستقلال بنفسك».

واستدعى النادلة وناولها ورقة مالية من محفظته ثم تبع دانييل إلى الخارج.

لم يكن يبدو في بنطلونه الأسود وقميصه غير المقفل مديراً لشركة ضخمة.. ومع ذلك كان فيه شيء يجذب الأنظار.

كان هواء الليل منعشاً، والنسيم يعبث بشعرها المنسدل تاركاً خصلاتها تحتك بوجنتيها، فوضعتها خلف أذنيها.

اخترق الجو صفير إعجاب، لكنها لم تلتفت نحو ذلك المعجب ولم ترَ تلك النظرة الثلجية التي ألقاها ريف في اتجاه الرجل.

وسرعان ما استدارا وعادا أدراجهما، وسمعت دانييل، وهي تمرّ بالموائد، ضحكات وثرثرة الزبائن وهم يستمتعون بوجباتهم.

وصلا إلى السيارة فناولته المفاتيح ثم صعدت إلى المقعد الجانبي. ولم تكن رحلة العودة طويلة، وفي البيت صعدت إلى الطابق الأعلى غير مهتمة بما إذا كان يتبعها أم لا.

بعد ذلك بدقائق، خلعت ثيابها واستلقت على السرير وأطفأت النور. ولم يأتها النوم بسهولة، فبقيت مستيقظة فترة بدت لها دهراً قبل أن يدخل ريف الغرفة بهدوء.

شعرت بقلبها يخفق بسرعة وتملكها الشوق إليه.. رباه، لماذا يتصرف قلبها بشكل مغاير لما يريده عقلها؟

إنها لا تريده.. (كذابة). فهي تريد أن تتلاشى في حبه، وأن تشعر مرة بعد مرة بتلك الأحاسيس الساحرة.

وصدمتها هذه الفكرة لحظة.

كيف أمكنها أن تفكر لحظة في إشراك عواطفها؟ أتراها.. مجنونة؟

إنها تكره ريف ڤالديز لهذا المشروع الذي ابتكره.

ولكن الكراهية لم تكن تشكّل جزءاً مما تشعر به عندما يمدّ يديه إليها. لم يكن للكره أو عدم الاكتراث مكان في مشاعرها عندما تبدأ مشاعرها بالغناء.

* * *

٧ ـ تتسلل إلى قلبه..

لم تستطع دانييل منع نفسها من التساؤل عما إذا كانت كريستينا من الشعبية بحيث تحصل على دعوة إلى كل نشاط اجتماعي يحدث في الطبقة الراقية.

هل هو تخطيط أم مصادفة؟ وبما أن تلك الشقراء المتألقة تنوي الأذى، فلا بد أن هناك تخطيطاً وراء حضورها جميع المناسبات التي يتواجدان فيها.

كان ممتعاً أن تراقب سيدات المجتمع وهن ينظمن المعرض.

ـ بماذا تفكرين؟

التفتت إلى ريف بابتسامة ذاهلة: «أراقب».

رفع حاجبه: «تراقبين كريستينا؟».

ـ كيف عرفت؟

ـ هل هناك سبب معيّن؟

تظاهرت برفع شيء غير موجود عن سترته الأنيقة: «إنها تريدك. ألا تفهم؟».

ـ وهل هذا يزعجك؟

ـ ولماذا يزعجني؟

بدت التسلية في نظراته وبدت ابتسامة كسول على فمه: «فلتتفرج على المعروضات التي على الجدران».

www.elromancia.com

قال هذا وهو يضع ذراعه حول خصرها.

ـ أنت تقتلني.

تمتمت دانييل بذلك. لم تكن تحب الاختلاط وهي لا تقوم بدورها الاجتماعي إلا لأجله. فهي وإن كانت مولودة في طبقة اجتماعية راقية، ترفض هذا المجتمع فمنذ أن تكاملت شخصيتها أخذت ترفض كل هذا.

كانت المعروضات كثيرة متنوعة... وبدت واضحة المدرسة التجريدية للرسم التي استأثرت بالاهتمام لأنها تطلب من كل شخص أن يفسرها كما يريد.

ووقفت دانييل مأخوذة أمام صورة طفل بريء الملامح، حزين العينين بشكل قطع نياط قلبها.

اقتربت من اللوحة تقرأ الشرح المكتوب تحتها وأوشكت على البكاء: طفل من البوسنة مأسور في أرض دمّرتها الحرب، محروم من أسرته. ما أفظع هذا الحزن لمثل هذه البراءة!

شعرت بنبضها يخفق أسفل عنقها. التفكير في ابن لها يتألم بأي شكل، كاد يقتلها.

تملكتها غريزة الأمومة العنيفة على غير انتظار. وذكّرها بالسبب الحقيقي لزواجها من ريف ڤالديز.

لقد وعدت نفسها بأنه سيكرهها وقررت احتمال هذه العلاقة بانتظار أن يمل منها ولكن ما تصورته لم يحصل تماماً. فرغم كل محاولاتها الشاقة، أصبح مستحيلاً، يوماً عن يوم، أن تنبذ مشاعرها، لأنه ما إن يلمسها حتى تتسارع خفقات قلبها. المثل يقول (خذ ما يأتي به اليوم..) . نعم، الأيام جيدة، لكن العبرة بالليالي..

ـ ريف، عزيزي.. أريد رأيك القيّم في عرض عمل قدّم إلي.

التفتت دانييل قليلاً لدى سماعها ذلك الصوت الأنثوي الأبح.

إنها كريستينا.. ومن غيرها؟

منحتها الشقراء ابتسامة باهتة: «ليس لديك مانع في أن أسرقه لعدة دقائق؟».

ـ كما تشائين.

لا شك أنها تريد استعراض جمالها أمامه، فما الذي يجعلها تهتم؟ ولكنها في الواقع تهتم فعلاً وهذا ما يجعلها تشعر بمرارة أكثر مما تريد أن تعترف.

أخذت تتهم نفسها، بصمت، بأنها حمقاء. ما الذي تملكها وجعلها تتصور أن من الممكن أن تكون على علاقة حميمة مع رجل مثل ريف ڤالديز دون أن تتأذى مشاعرها؟

أيمكنه أن يسيطر على مشاعره؟

دون شك، الضعيف وعديم الانضباط لا يعيش في شوارع المدن. وقد اكتسب مظهراً زائفاً من الحنكة والثقافة الرفيعة أثناء ارتفاعه في عالم المال. وقد تلاءم جيداً مع المجتمع. وعلى كل حال، كانت القسوة واضحة وراء هذا المظهر السطحي، وذاك القلب الهمجي الذي يضمر السوء لأي خصم.

هي بالنسبة إلى ريف مجرد وعاء اختاره ليحمل ولده وملجأ أنثوي حنون لطفله في سنوات ضعفه الأولى. وعندما تتم مهمتها سيطلق سراحها، مراعياً حالتها المادية لئلا يعذبه ضميره ولكن الرجال من نوع ريف لا يملكون ضميراً.

وعنفت نفسها تنصحها بأن تنسى كل ذلك، وتتحمل الاتفاقية التي بينهما، وتتابع حياتها.

ـ دانييل، ما أجمل أن أراك مرة أخرى.

كان صوتاً مألوفاً، فالتفتت بابتسامة جاهزة: «ليليان».

ـ أحاول أن أنظم شيئاً مختلفاً قليلاً لجمع المال للجمعيات.

فكرت في أن أمك وأنت قد تهتمان بإقامة عرضٍ خاصٍ للأزياء في متجركم، بناء على دعوات خاصة فقط. سنستأجر مقاعد ونحضر عارضات الأزياء، ونوزع العصائر والحلوى.. ونوزع المقبلات بحجم اللقيمات. ويكون ملحقاً بكل تذكرة وصل بتخفيض عشرة بالمئة من ثمن كل قطعة يشتريها من متجر «لافام». ما رأيك؟

قالت دانييل باتزان: «أنا بحاجة إلى مناقشة هذا الموضوع مع أمي. كما أننا بحاجة إلى معرفة تفاصيل الكلفة».

ـ يا عزيزتي، الكلفة ليست هي الموضوع. كل ما أحتاجه منك هو المتجر «لافام» كمكان. وحسم العشرة بالمئة هي مساهمتكم في العمل.

كان هذا عرضاً جذاباً، والزبائن الذين يأتون بدعوة سينفقون، دون شك، وينفقون جيداً.

قالت ليليان بابتسامة الفوز: «فكرت في خمسين مدعواً، يجلسون في صفوف مزدوجة، على كل صف عشرة، وصفين آخرين عند المدخل يجلس في كل جانب خمسة».

من الطبيعي أن يُغلق المتجر في وجه الزبائن أثناء العرض: «كم من الوقت سيستغرق العرض؟».

ـ من الثانية حتى الرابعة بعد الظهر، في منتصف الأسبوع على سبيل التجربة، بعد أسبوعين من الآن.

ـ اجعلي هذا كتابة، يا ليليان، ثم أعود إليك.

ـ سبق أن فعلت هذا، يا عزيزتي.

وأخرجت من حقيبتها مغلفاً ناولته لها: «اتصلي بي غداً مع جوابك».

كانت واثقة من أن أمها ستوافق. فهذا عمل جيد بالنسبة إلى «لافام».

سارت دانييل بين المعروضات، متمتمة بالتحية للناس القلائل الذين تعرفهم، ثم وقفت أمام صورة مكبرة لموتوسيكل «هارلي دايڤيدسن».. لم تستطع أن تعلم من هو أكثر جذباً للأنظار، الموتوسيكل أم ذلك الرجل الطويل الشعر، المرتدي قميصاً أسود بلا كمين، الموسوم على ذراعه وشم كبير والجالس على المقعد منفرج الساقين.

ـ هذا حلم بعض النساء.

قال هذا صوت مألوف بلهجة مطاطة، وشعرت بلمسة ريف على خصرها.

فأومأت موافقة: «هممم... وكل تلك القوة المثيرة للنبض».

ـ هل نتحدث هنا عن الموتوسيكل أم عن الرجل؟

ـ آه، بل الرجل. الموتوسيكل لا يفعل هذا بي.

ـ أليست الشخصية هي كل شيء؟

نظرت إليه متأملة: «وأنت غيّرت شخصيتك».

ـ بالشخصية التي صنعتها لنفسي.

ـ ومع ذلك، تحت الثياب الفاخرة، والحنكة المدرّبة، هناك جوهر الشخص الذي كنته أصلاً، فذلك لا يتغيّر.

ـ وهكذا أنا، أما زلت برأيك ذلك المحارب في شوارع شيكاغو؟

ـ أنت ريف ڤالديز. الرجل الذي يتلاءم، بسهولة، مع أية خلفيات، والرجل الذي لا يتحداه سوى أحمق.

كانت عيناه قاتمتين بشكل لا يصدّق، لكن الهزل كان على حافة فمه: «هل هذا مديح؟».

ـ بل تقرير واقع.

بإمكانه أن يخلع عنه صورته المكتسبة بالسهولة التي اكتسبها

بها، ويعود ثانية كما كان. هناك شيء متعذر تحديده، في وقفته ومظهره. نوع من الانتظار والمراقبة، لمحة من الحواس المرهفة المتناغمة، باسم البقاء وحماية ما يملك.

ـ هل تحدثت مع ليليان؟

ـ نعم. لقد عرضت عليّ مشروعاً ذا أهمية، ما رأيك؟

كان هذا تقدماً منها، كما اعترف وهو يدرك أنها، منذ أسبوع، ما كانت لتذكره، بل ما كانت لتسأله رأيه: «لليليان اتصالات كثيرة، وسيكون في هذا دعاية جيدة للمتجر».

كان هذا يتوافق مع رأيها، وكانت على وشك أن تقول هذا عندما أحست بأن هناك من يراقبها. التفتت قليلاً ببطء فرأت كريستينا تنظر إليها.

رأت الحقد مرسوماً بشكل سافر على وجهها. فكبحت دانييل رجفة خفيفة. يا لها من كراهية!

ـ أيمكننا الذهاب؟

كانت بحاجة إلى الخروج من هذا المكان لتنشق هواء المساء المنعش والشعور به على وجهها، ولتبتعد قدر إمكانها عن تلك الشقراء المتألقة.

لم تدر ما إذا أحس ريف بالسبب لطلبها الذهاب. وبعد ذلك بخمس دقائق كانت تتنفس الصعداء، إذ كانت السيارة تحملهما إلى الشارع الرئيسي متجهة إلى شارع «توراك».

وجدا عدة مقاهي مفتوحة، والزبائن يجلسون إلى الموائد الخارجية على الرصيف، دار ريف حول المنعطف ثم توقف، ثم اختارا معاً مائدة جلسا إليها ينتظران القهوة التي طلباها.

دق تليفون ريف الخليوي فأخذ المكالمة وتكلم عدة دقائق ثم أقفله.

ـ عمل؟

ـ عليّ أن أجلس على الكومبيوتر وأرسل معلومات معينة إلى نيويورك.

ـ أتريد أن نترك المكان؟

ـ يمكن لذلك أن ينتظر.

كان يعمل ساعات طويلة ويأخذ القليل جداً من الراحة، وحتى أثناء ذلك كانت الراحة متصلة بالعمل. إن بإمكانه طبعاً أن يرتاح كما يشاء، ولكن التجربة علمته أن اللاعب إذا حوّل نظره عن الكرة، قد يخسر اللعب. هذا إلى أنه يستمتع بالإثارة التي تنتج عن وضع خطة لعمل لا يلبث أن يلمس نجاحه.

لقد سار طريقاً طويلة في السنوات العشر الماضية. فهو حصل على الصيت والثروة والمركز الاجتماعي. ويمتلك الأوسمة التي تتناسب مع كل ذلك، وبيوتاً ممتازة في مختلف البلدان، وزوجة. وقريباً سيكون له ولد، وريث من دمه يرث كل شيء قام به.

دانييل آلبوا ڤالديز. امرأة لا تخفي كراهيتها له، وهي من الصدق بحيث تستمتع بما يقدمه لها دون خداع. وهذا يشكّل تغييراً منعشاً.

تساءل كيف ستكون ردة فعلها إذا أخبرها بأنه تعمّد أن يتابع انحدار أمها المالي وسقوطها من قمة المجتمع وفي نيته الزواج بابنتها؟ لم تكن تلك مصادفة سهلة، ولكن خطة بارعة وُضعت بحذر بالغ. وأنها بدلاً من بقائها عدة أشهر قيد الصنع، اختمرت في عقله منذ سنة.

كانت على حق في اتهامه بأنه يستغلها لمصلحته. ولكن السبب لم يكن فقط هو انتماؤها إلى الطبقة الأرستقراطية، بل كبرياؤها وشجاعتها هما اللتان جذبتاه وصدقها أيضاً. لذلك وحده كان مستعداً لدفع الثمن، فهذه الصفات التي يريدها في ولده.

أخذ ريف يشرب قهوته السوداء ويراقبها بتراخٍ وكان يعلم أنه يضايقها.

إن لديها أحلى ثغر في الوجود وملامح رقيقة كالملاك. شعر بقلبه يخفق لمجرد التفكير في تجاوبها الفوري للمسانه.

لقد مضت فترة طويلة منذ كان يشعر بالحاجة إلى امرأة بالطريقة التي يحتاجها فيها. كيف ترتعش بين ذراعيه، وكيف يقفز نبضها عندما يمسك بها.

إنه يشعر عندما يكون معها وكأنه قبض على شيء لا يصدّق.

شرب قهوته، وانتظر حتى أنهت قهوتها، ثم أخرج ورقة مالية ونهض واقفاً.

استغرق الوصول إلى البيت عدة دقائق فقط، وقاوم الحافز الذي كان يدفعه إلى اللحاق بها إلى الطابق الأعلى. العمل، ذكّر نفسه بذلك وهو يتجه إلى المكتب.. ساعة أو ساعتين على الأكثر ثم يمكنه الذهاب إليها.

لكنه لم يتمكن من الإنسلال إلى تحت الأغطية إلا بعد ثلاث ساعات. وكان يشعر بحاجة قوية إليها، فضمها إلى صدره جارفاً إياها معه..

* * *

٨ ـ رجل في مملكة النساء..

لعبة «الڤوليبول»، السباحة، ثم حفلة شواء في الهواء الطلق، تعني الاقتصاد في اللباس. وهكذا لبست دانييل المايو، ثم لفت إزاراً حول تنورة تتلاءم مع البلوزة، وكانت قبل ذلك قد ألقت بالملابس الرياضية في كيس الأدوات الرياضية، ثم وضعت أقل ما يمكن من الزينة على وجهها وبعض زيت حروق الشمس.

ـ جاهز؟

ـ جاهز إلى أقصى حدّ للمرح في شمس العصر.

لو كانت كريستينا حاضرة بين الضيوف لصرخت. كان يبدو ملائماً بشكل لا يصدّق بالشورت والقميص القطني الرقيق، وقد أبرزت هذه الملابس البسيطة طوله وعرض كتفيه.

كان يبدو بطاقة فياضة وهذا ما جعل النساء حمقاوات وذكّر بعض الرجال بنقصهم.

كانت الأماكن في بيت مضيفهم مبلطة بالرخام، والأثاث حديثاً، وكان ثمة تجهيزات رائعة خارج البيت منها بحيرة وملعب تنس وطريق مباشر إلى الشاطىء.

وجدوا الضيوف مجتمعين في الشرفة الأرضية الفسيحة. وابتسمت وهي تتقدم إلى وسطهم تحيي من تعرفه منهم. والنساء اللاتي تجاهلنها فيما مضى، بدون وكأنهن أحسن صديقاتها.

وشعرت لهذا بمرارة كبيرة.

بدا جوّ الحفلة عفوياً.

- أنت هادئة جداً.

التفتت إلى ريف بجانبها باسمة: «أرجو المعذرة، لم أدرك أن الحديث بحماس مطلوب».

لمعت عيناه بتأمل ساخر: «ستعلن مضيفتنا عن بدء لعبة «القوليبول» في أي وقت الآن».

- هذا يمنح النساء فرصة للقفز والمرح مع الرجال بحجة الرياضة.

- المرح يا عزيزتي؟ يمكنني التفكير في طريقة لإنفاق الطاقة الزائدة أكثر بعثاً للسرور من الرياضة.

نظرت إليه بهدوء: «أتذكر أنك فعلت ذلك الليلة الماضية».

كادت ضحكته الناعمة المبحوحة تحطمها: «يبدو أنني لم أحدث تأثيراً يُذكر».

كانا يعلمان أن كلامه غير صحيح، فقد استجابت له، لكنها قالت وقد توهج وجهها: «لا أحب تشجيع الغرور».

وجعلتها ضحكة رنانة تنظر إلى الباب ثم تقول لريف: «سأترك كريستينا الجميلة تعوّضك عن غيابي».

- إلى أين تظنين أنك ذاهبة؟

- لأختلط بالآخرين. لا أريد أن أبقى لأنظر إلى طريقتها في الإغراء.

- وتتركينني أواجه الصعاب وحدي؟

التوت شفتاها بهزل خبيث: «إنه شيء ستحصل عليه بسهولة تامة».

والتفتت إلى الشقراء المتألقة: «كريستينا، عن إذنك».

- طبعاً عزيزتي.

تمشت دانييل إلى المقصف وطلبت عصيراً. ثم نظرت إلى الخليج أمامها معجبة بالمشهد الهادىء والسماء الزرقاء، والبحر الممتد نحو الأفق المتهادية عليه المراكب الملوّنة.

عادت عيناها، بالرغم عنها، إلى ريف، وتأملت ملامحه الجانبية. الفك القوي وعظام وجنتيه العريضة، وشعره الحسن التنسيق.

كانت كريستينا مصممة على السيطرة على انتباهه. ومن هنا بدا لدانييل بأنها لا تترك له مجالاً، وذلك بابتسامتها الرائعة المدرّبة، وإمالة رأسها، وملامستها لساعده بأناملها الملونة الأظافر.

بدت لدانييل وكأنها السحر المجسّد، ونبذت ما شعرت به من وخز الغيرة الخفيف. الغيرة هي نتيجة الحب، وهي لا تحب أحداً. فلماذا كل هذا الضيق الذي تشعر به وهي ترى كريستينا تضع مخالبها على الرجل الذي دفع ثمن طفل منها وعدة سنوات من حياتها؟

وكأنما أحس بتأملاتها فالتفت وألقى عليها نظرة جانبية طويلة متفحصة.

تعمدت أن تأخذ رشفة طويلة من كوب العصير ثم بدأت حديثاً جاداً مع الشخص الذي كان واقفاً بجانبها.

ولحسن الحظ اختارت مضيفتهما هذه اللحظة لتعلن عن بدء لعبة القوليبول.

ما هي الفكرة الشريرة التي خطرت لمضيفتهم حتى وضعت كريستينا بجانب ريف ودانييل أمامهما؟ والأسوأ من ذلك، أن الشقراء المتألقة قد خلعت ثيابها وبقيت بالمايو.

أخذت دانييل تعنف نفسها، بصمت، بأن هذا شاطىء البحر، ولكن المرح شيء، والمباهاة الصريحة هو شيء آخر.

وفيما بعد، واللاعبون يتحولون من جانب لآخر، وجدت دانييل نفسها مع كريستينا بمقتضى اللعبة. ولم يكن هذا حسناً، وثبت ذلك عندما استطاعت، بشكل ما، أن تتحوّل، وإذا بها تتعثر بساق كريستينا التي مدتها أمامها متعمدة، فوقعت على الرمال.

حسناً، يمكن لاثنين أن يتبادلا هذه اللعبة، ولكن الفرصة لم تسنح لها لكي ترد لها وخزة المرفق العنيفة أو الرفسة المؤلمة لبطة ساقها.

تنفست الصعداء عندما انتهت الدورة وانطلقوا جميعاً إلى البحيرة للسباحة، حيث بدأ الضيوف بألعابهم.

استعرضت كريستينا جسدها الجميل الرشيق بالغوص، بينما انزلقت دانييل فقط من جانب البحيرة.

ما إن لمست الماء حتى كان ريف بجانبها. وكادت تموت عندما عانقها بطريقة حبست أنفاسها. وعندما رفع رأسه سألته بعنف: «ما هذا الذي تفعله؟».

ـ وهل أنا بحاجة إلى سبب؟

ـ نعم.

ثم سبحت مبتعدة عنه إلى جانب البحيرة، وصعدت خارجة منها، فتناولت منشفتها ثم حملت كيسها وتوجهت إلى حمامات الضيوف التابعة للبحيرة.

لم يستغرق استحمامها وتغييرها ملابسها وقتاً طويلاً، وخرجت إلى الردهة لتجد كريستينا تنتظر دورها.

ـ إنه مشهد صغير جميل ذلك الذي استطعت أن تخططي له في البحيرة.

أصبح الأمر مملاً حقاً بالنسبة إلى دانييل، التفتت إليها تقول وهي تمشط شعرها إلى قمة رأسها دون اهتمام: «لا أعتقد أنني أدين لك

بتفسير لما حدث بيني وبين زوجي».

ـ حاذري من خطواتك.

قالت كريستينا هذا لها محذرة، فقابلت دانييل نظراتها في المرآة: «أنا أراقبها طوال الوقت».

ـ لا يمكنك أن تهزميني.

استدارت تواجه المرأة التي تعلم أنها عدوتها: «أوضحي قولك».

ـ افهمي قولي بنفسك يا عزيزتي.

ـ أتهددينني؟

ـ وهل أنت بحاجة إلى سؤال؟

ـ حظاً سعيداً، يا كريستينا.

كان صوتها بنعومة الحرير، ولمحت وهج الغضب العنيف على وجه المرأة قبل أن تكبحه، قائلة: «أنا لا أدع شيئاً للحظ».

كان هذا كافياً لدانييل التي خرجت رافعة رأسها بكبرياء.

بدأ الشواء في السابعة.. كان هناك السمك، والقريدس والسلطات المنوّعة.

بدأت الشمس تنزلق خلف الأفق، وأخذ الظلام يسدل ذيوله. فاشتعلت المصابيح الكهربائية تنير الشرفة الواسعة والحدائق والبحيرة، وأصبح البحر رمادي اللون، أو أسود تقريباً، عندما ظهر القمر الفضي في السماء الحالكة المرصعة بالنجوم.

أديرت القهوة، وكانت دانييل واعية إلى حضور ريف عندما اختلطا ببقية الضيوف.

انتهت الحفلة بعد العاشرة. وجلست صامتة بجانب ريف وهو يتجه بالسيارة إلى البيت.

وفي الداخل، ملأ المنبه ثم لحق بها إلى غرفتهما. قال وهو

يخلع ملابسه: «ألا تقولين شيئاً؟».

قالت بلهجة تقرير الواقع: «كانت أمسية سارة، والطعام رائعاً، وأنا متعبة. وغداً يوم آخر».

نظرت إليه بحدة: «هل هذا يكفي؟».

سار إليها، ثم انحنى وأخذ يفحص ساقها، ضاغطاً بأصابعه على بطة الساق.

سألته: «هل هذا ضروري؟».

ثم أجفلت متألمة: «ذلك مؤلم».

أخذ يمسّد الموضع بخفة: «سيبدو رضّ هنا».

وصعدت يداه إلى قفصها الصدري فضربت ساعده: «لا تفعل».

لكنه لم يهتم مثقال ذرة: «سأحضر مرهماً يخفف من أثر هذه الرضّة».

ـ لا أحتاجه.

وتركته ودخلت الحمام. وما هي إلا دقائق حتى خلعت ثيابها ولبست قميص القطن وغسلت وجهها وأسنانها.

وعندما خرجت إلى غرفة النوم كان هو بجانب السرير وفي يده المرهم. فقالت: «آه، حباً بالله، أعطني إياه».

واقتربت منه لتأخذه، لكنه تجاهلها ووضع المرهم. فقالت بغضب: «هل عليك أن تمثل دور الممرضة؟ عشيقتك السابقة هي كلبة حقود».

أنهى وضع المرهم، ووضع الأنبوب جانباً، ثم أمسك بوجهها وبدأ يعانقها. وعندما استطاعت أن تتكلم، قالت: «هذا لن ينجح».

ـ هذا ما أراه.

ثم عاد يعانقها بقوة ممزوجة بشيء من الرقة، وعندما رفع رأسه بدت عيناها وقد جمدتهما المشاعر.. ثم..

صباح الخميس استقلا الطائرة من مطار «كولانغاتا» ثم ركبا تاكسياً إلى فندق «بالازو ڤرساس» القائم على شاطىء «مين بيتش» والمطل على المحيط.

كان الفندق نفسه مخصصاً للسياح. أما الشقق الملحقة به فهي للبيع وكانت من الترف والرفاهية بحيث لا يستطيع شراؤها سوى الأثرياء.

كان تصميمها إيطالياً، والردهة مبلطة بقرميد كالموزاييك.. وشهقت دانييل بسرور خالص عندما تبعت ريف إلى الصالون المترف المطل على البحر.

كان رائعاً. وقد أخبرته بذلك فقال: «استمتعي، يا عزيزتي. إذا أردت أن تتصلي بي، فليكن بالتليفون الخليوي، وسأحجز مائدة للعشاء».

مضى على آخر مرة زارت فيها منطقة الساحل، عدة سنوات. ونوت أن تحاول اكتشاف المكان. أول شيء هو الشقة نفسها، ثم مجمّع التسوّق الملاصق «مارينا ميراج»، وتمهلت في أحد المقاهي هناك، ثم سارت إلى شارع «تيدر أڤنيو» في «مين بيتش» الذي ما زال كما تتذكره.

عندما دخلت الشقة كانت الساعة الخامسة تقريباً، فتوجهت رأساً إلى الدوش.

بعد ذلك بدقائق، شهقت مجفلة عندما انفتح الباب ودخل ريف. سألته بعنف: «هل كان عليك أن تأتي؟».

ـ ولماذا لا أستريح وأستمتع؟

ـ دع عنك الإغراء، فهذا لن يفيدك.

كانا يمضيان كل ليلة معاً وذلك منذ ثلاثة أسابيع تقريباً.

ـ هناك طرق كثيرة نطلق فيها العنان لبعضنا البعض.

ـ لا أريد واحدة منها.

وأطلق ضحكة مبحوحة قبل أن يقبلها.

مضت فترة قبل أن يرفع رأسه، ثم ربت على خدها: «فليكن إذن. والآن اذهبي».

فذهبت. وكانت قد ارتدت ملابسها تقريباً عندما دخل الغرفة. كل ما أحضرته معها هو طقم للمساء أحمر حريري وحذاءً أسود وحقيبة يد مناسبة للمساء تكمل المظهر.

كان المطعم يطل على البحر، والطعام بالغ الروعة، وقد نُظّم في الطبق بشكل فني حتى أصبح إفساد شكله خطيئة تقريباً. ورأت دانييل أن وجودها مع ريف وحدهما هو شيء حسن حقاً، دون ضيوف آخرين على المائدة فهذا لا يجعلها مرغمة على تبادل الأحاديث المهذبة، ولا يجعلها تتحمل كريستينا وتطفلها.

سألته: «هل اشتريت هذه الشقة الملحقة عن الخريطة؟».

ـ بل هما اثنتان. واحدة لاستعمالي الخاص، وأخرى للاستثمار.

ـ فهمت أن اجتماع العمل بعد ظهر هذا اليوم كان ناجحاً؟

وكأنه كان سيكون غير ذلك.

ـ نعم.

ـ متى سنغادر هذا المكان غداً؟

ـ قبل الظهر.

يا لها من إقامة قصيرة، هل يا ترى يعودان في مستقبل قريب؟

ـ نعم، بعد عدة أشهر.

وعندما رأى دهشتها قال: «ملامحك معبّرة تماماً».

ـ لكنك لست كذلك.

فقد كان مستحيلاً عليها أن تقرأ أفكاره، ولا يبدو أبداً أنها

ستتمكن من ذلك يوماً ما.

ـ قهوة؟

تناولاها متمهلين. ثم دفع الحساب وخرجا يتمشيان في الشارع الفسيح المشجر، مستمتعين بأصوات الليل. كانت هناك سفن النزهة المترفة واقفة في حوض السفن، والمقاهي العديدة على الشاطىء مزدحمة بشاربي القهوة.

أمسك بيدها فشبكت أصابعها بأصابعه.

منذ أقل من شهر، أقسمت أن تكره هذا الرجل، وها هي ذي الآن تجد تغييراً مفاجئاً في شعورها نحوه.

كان زوجها، وعشيقها. وذات يوم سيصبح والد ابنها، فهل من الممكن أن يكون صديقها أيضاً؟

وعندما تنخفض علاقتهما إلى حدود الصداقة، فكيف سيمكنها مواجهة ذلك؟

ليس بشكل جيد، هتف بهذا صوت ضئيل ساخر من أعماقها. اندفع هذا الإدراك إلى عقلها واستقر فيه، دافعاً إياها إلى صمت متأمل.

بل هي حمقاء، كما أخذت تفكر بصمت، فريف ڤالديز قدّم إليها اتفاقية عمل قبلتها هي بشروطه. وستبقى علاقتهما عبارة عن اتفاقية عمل، حتى ولو قتلها ذلك.

* * *

استقرت الأيام على شكل مألوف. وكانت تشعر بالبهجة لأنها ترى متجر «لافام» ينتقل من قمة إلى قمة بازدياد الزبائن وارتفاع الأرباح.

وفي الليالي كانت دانييل تواجه المشاعر التي كان ريف يثيرها في كيانها، فتغذي جوعاً بدائياً وتتركها راغبة في أكثر من مجرد متعة.

التخطيط لعرض ليليان المالي أخذ الأولوية في تشاورها مع أمها وكانت النتيجة طلب المزيد من البضاعة.

حان اليوم المنتظر، وبدأ التنظيم.. أخذت دانييل تفكر في ذلك وهي تقفل المتجر، متأكدة من أن الملحوظة التي تعلن عن العرض الخاص، واضحة للرؤية تماماً. ثم تفحصت أمر المقاعد، مسوّية من وضع مقعد هنا وآخر هناك، متأكدة من أن بإمكان الزبائن الجالسين في الخلف أن يشاهدوا العرض بسهولة.

كانت أزهار رائعة التنسيق موجودة في الوسط أمام جدار تغطيه المرايا خلف مكتب المحاسبة.. وهو هدية من ريف كتب عليها (حظاً سعيداً).

ـ ما رأيك؟

قالت الأم بحماسة: «يبدو هذا رائعاً يا عزيزتي».

ولم يكن قد مضى وقت طويل على إحضار متعهدي الطعام لمختلف أنواع المقبلات والعصائر.

كانت تنتظر حضور ثلاث عارضات أزياء مع ليليان وبعض المتطوعين للمساعدة كذلك، ولم يبق سوى وصول المدعوين.

وفي تلك اللحظة دخلت ليليان ومعها المساعدون، تتبعها عارضتا أزياء.

قالت ليليان: «هنالك تغيير خفيف في الخطة. الفتاة الثالثة العارضة التي اتفقنا معها، اتصلت تقول إنها مريضة. وقد تمكنت من العثور على بديلة لها. وكان لطفاً بالغاً من كريستينا أن تأخذ مكانها في هذا الوقت القصير».

وفي تلك اللحظة دخلت الشقراء الطويلة المتجر واندفعت نحوهن.

كريستينا؟ هل هي تنقذ المناسبة، أم تتخذ ذريعة باطلة؟ وتكلفت

دانييل الابتسام، وهي تكبح زمجرة غضب. وقالت كارهة ما يتوجب عليها من تهذيب: «إنه لطف منها. العارضات الأخريات في غرفة الملابس. «لين»، مساعدتنا ستراجع البرنامج معك».

نظرت آريين في ساعتها، ثم انتقلت مع ليليان نحو المدخل لتستقبل أول مجموعة من المدعوات.

وفي الوقت المعيّن كانت كل المقاعد ملأى، وكان العرض جاهزاً.

الإعداد لكل هذا قد تطلب الكثير من التفكير والعناية إلى حد لا يكاد يترك مجالاً لأي عقبة. فقد حفظت دانييل البرنامج غيباً بكل تفاصيله، وبدأ التوتر عند عرض أول قطعة.

بعد مشاورات كثيرة، استقر الأمر على البدء بعرض ملابس النوم، ثم الانتهاء بملابس داخلية جريئة هي سراويل بعرض الشرائط «وسوتيانات» بالغة الصغر.

كان في متجر «لافام» الآن مجموعة كاملة متنوعة من أرقى المحلات في فرنسا والمانيا وبلجيكا تضمن إرضاء أصعب الأذواق من الزبونات. البيجامات الحريرية ذات الألوان العاجية والمشمشية الباهتة والتبنية، نالت الإستحسان، وقمصان النوم الطويلة الفائقة الإتقان وبقية ملابس البيت نالت الإعجاب. واستمر العرض مع تغير طول الوقت مع كل دورة، إلى أن تم عرض كل ذلك النوع، ثم تبع ذلك الدُثر والعباءات بأشكالها المختلفة وألوانها الرائعة.

حتى الآن، كل شيء حسن، كما همست دانييل لنفسها.

ـ حتى الآن كل شيء ممتاز.

قالت آريين هذا وهن يحضّرن للجزء التالي وهو عرض القمصان الداخلية بكل درجات الطول واللون والطراز، من حرير وساتان ودانتيل.

قالت لها لين: «أكثر الحاضرات يضعن علامات شراء على البرنامج، فإن قررن الشراء، فستكونين بحاجة إلى أن تطلبي مقداراً ضخماً من البضاعة بدلاً منها».

أتراها تجرؤ على أن تعتبر الحظ قد خدمهن؟ الإغراء لا يكاد يُقاوم.

رن جرس التليفون، فأخذت آريين المكالمة، ثم تحدثت بعدة كلمات بهدوء، ثم وضعت السماعة مكانها وتقدمت إلى جانب ابنتها.

ـ إنه ريف، يا عزيزتي، إنه هنا في المنطقة وسيزورنا بعد عدة دقائق.

رجل وحيد في مملكة النساء. سألتها: «متى؟».

ـ لقد أوقف سيارته لتوه في موقف السيارات الخلفي في المنطقة.

شعرت دانييل بصراع سريع: «سأخرج وأدخله».

قالت متكلفة الهدوء مع أنها تشعر بكل شيء إلا الهدوء.. سارت نحو الباب الخلفي لتفتح الباب.

وهناك وقف ريف داساً يده في جيب بذلة العمل الرائعة التفصيل التي يرتديها.

وفكرت بصمت بأنه بطل أسمر، وأخمدت اللهب البطيء الذي سرى في جسدها.

ما كان ينبغي أن يكون له هذا التأثير فيها وطمأنت نفسها إلى أنها لا تتشوّق إلى ذلك.

ـ ما الذي تفعله هنا؟

رفع حاجبه والهزل يلمع في عينيه: «وهل هناك ما يمنع أن أكون هنا؟».

آه، رباه!.. عليها أن تسيطر على نفسها: «هذا شيء غير متوقع».

ووقفت جانباً ليدخل، ثم أغلقت الباب خلفه: «العرض في أوجه».

ـ أظن ذلك.

وأمسك بذقنها، بأصابع ثابتة، يرفع وجهها إليه.

ـ ولكنّ؟

ـ لا شيء.

أخذ يتأمل ملامحها، ورأى لمحة من ألم تكسوها فمسح فمها بإبهامه: «لا شيء يسبب لك صداعاً؟».

استطاعت أن تفلت من قبضته: «هل ستبقى؟».

لم يكن مصمماً على ذلك. نيته الأساسية كانت أن يمر على المتجر ويحيي آريين وليليان، ويتمهل عدة دقائق لكي يضيف وزناً للعرض، ثم يغادر.

لكنه غيّر رأيه الآن: «هل سيزعجك إذا بقيت؟».

آه، يا له من سؤال: «أنا واثقة من أن وجودك سيزعج بعض المدعوات».

ويسرّ عارضة للأزياء بالذات.

ضحكته المبحوحة جعلت الحرارة تسري في دمها.

ـ سأحاول ألا أكون فضولياً.

ردت بحدة: «هذا مؤكد».

ولم تستطع أن تهرب من القبلة التي قبّلها إياها.

نظرت إليه عابسة وهي تمد يدها إلى حقيبتها تخرج منها قلم الشفاه تصلح به لون شفتيها.

كان لحضور ريف نفس التأثير الذي توقعته دانييل، لأن

المدعوات اعتدلن في جلستهن، وتألقت ابتساماتهن. وعندما دخلت العارضات بدت خطواتهن أخف، وحركاتهن أكثر إثارة بشكل ملحوظ.

ضاقت عيناه وهو يرى كريستينا تظهر، ولكن ملامحه كانت جامدة وهو يرى ما تعرضه.

كانت هذه الشقراء إزعاجاً حقيقياً، وتساءل عما فعلت لكي تحل مكان العارضة المتفق معها على تأدية العرض هذا النهار. وبشكل ما، شكّ في أن تكون ليليان قد تآمرت معها لإحداث هذا التغيير. ولكن ما هو محتمل أكثر هو أن كريستينا قد سألت عن أسماء العارضات المتفق معهن، ثم قدمت إلى واحدة منهن مبلغاً أكبر من الذي ستقبضه لكي تدعي المرض.

الملابس المزخرفة والمزينة بالدانتيل لم تكن تؤثر كثيراً فيه، وإن كان يعجب بالتفصيل والطراز الجميل.

استقر انتباهه على ملامح زوجته، ولمح إرهاقاً وتوتراً وراء ابتسامتها.

كان المفروض أن ينتهي العرض الساعة الرابعة. فإذا غادر الآن فهو سيلحق موعده في الساعة الرابعة والنصف.

حاولت دانييل جهدها أن تتجاهله. وهذه ليست بالمهمة السهلة فقلبها يغدر بها في كل مرة، وكانت في صراع بين استسلامها وغضبها لحضوره.

لماذا لم يذهب؟ أم تراه مستمتعاً برؤية هؤلاء النسوة وهن يعرضن الملابس الداخلية؟

كانت كريستينا في مكانها الطبيعي تقوم بدور الإغراء وهي تدور في أنحاء المتجر، وتقف كل عدة خطوات لتعرض ما تلبسه، ونظراتها لا تتحول عن ريف.

ولم تفهم دانييل كيف لم تدرك جميع الموجودات دعوة هذه الشقراء المكشوفة الوقحة.

انتهى العرض، وألقت آريين عدة كلمات مهذبة تشكر بها ليليان لتنظيمها هذه الحفلة، وتشجّع المدعوات على استغلال الوصل بالحسم للمساهمة في تمويل الأعمال الخيرية.

قُدمت القهوة مع البسكويت، وتأخر ريف ما يكفي لكي يتحدث مع ليليان، ثم غادر المكان. ولكن ليس قبل أن تستوقفه.

تعمدت دانييل أن تركز نظرها على مكتب الدفع حيث اصطفت المدعوات والبرامج في أيديهن. كان العمل مزدهراً. وفي الواقع، كان ناجحاً للغاية إلى حد أن بعض المدعوات بقين في المكان حتى حان وقت إقفاله.

ليليان، وهي المثالية في التنظيم، كانت قد رتبت أمر أخذ المقاعد مع شركة التأجير في الخامسة وبعد أن خرجت آخر مدعوة، أخذت آريين ودانييل ولين في تنظيم المكان وتنظيفه.

وهكذا، عندما دخلت دانييل بيتها وتوجهت إلى الطابق الأعلى رأساً، كانت الساعة السابعة.

وجدت سيارة ريف في الكاراج، وهذا يعني أنه في البيت. وساورها الأمل في أن يكون تناول طعامه واعتكف في مكتبه.

دخلت غرفة النوم ومنها إلى الحمام حيث اغتسلت ثم عادت إلى الغرفة واستلقت على السرير مسرورة..

لم تعرف كم مرّ عليها من الوقت وهي تفكر في نجاح حفلة العرض هذه ومقدار البيع. الشيء السيء الوحيد في الأمر كان كريستينا.

ـ كان ذلك سيئاً، هممم؟

فتحت عينيها وهي تسمع صوت ريف، واتسعتا وهي تراه فوقها.

ـ كانت حفلة ناجحة.

بدا لها، بشكل غامض، شبيهاً بالقرصان في الجينز الأسود والقميص المفتوح عند العنق بكميه المثنيين إلى المرفقين. وكان في قربه منها إلى هذا الحد ما يهدد هدوءها النفسي.

قالت له بأدب: «نسيت أن أشكرك على الأزهار».

ـ بكل سرور.

ـ وكان لطفاً منك المرور علينا.

ابتسم. كان بعيداً عنها خطوة على الأقل.

ـ ولكن لا بد أن ما جعلك تبقى أكثر من ساعة هو سبب قوي للغاية، أليس كذلك؟

ورمقته بنظرة قاتلة: «لقد تألقت وجوه الضيفات تماماً لوجودك».

ـ اهتمامي الوحيد كان أن أساعدك.

تمنت لو تقذفه بشيء: «أحقاً؟ هل لهذا بقيت؟ سامحني لأنني تصورت أنك حضرت لتتفرج على العارضات الرشيقات».

قال ضاحكاً: «يا عزيزتي، النظر إليك فقط كان يغريني أكثر لعلمي ما يوجد تحت ذلك الطقم العصري الطراز الذي ترتدينه، ولعلمي أنك ملكي متى شئت. كنت منجذباً إليك أكثر من انجذابي إلى تلك الملابس الداخلية على نساء لا يجذبنني أبداً».

قالت بحدة: «لا يبدو أن هذا رأي كريستينا».

ـ هذا طبيعي، وهي التي تعرض جسدها بذلك الشكل الفاضح وبغرور بالغ.

ـ لقد تطوّعت للعرض لأجلك فقط.

ـ أتغارين منها؟

رفعت يدها تريد أن تصفعه ولكنه سبقها فأمسك بيدها.

ـ أخرج.

كان فيه شيء أشبه بالوثنية وهو يجلس قربها بتلك الطاقة الخام البدائية.

ـ إياك.

وحاولت أن تتجنبه، لكنها وجدته يجذبها ويحيطها بذراعيه.

ـ استرخي.

وكيف يمكنها أن تسترخي، بحق الله؟

حتى وهي تقاومه، مدّ يديه إلى رقبتها وأخذ يدعك أسفلها من الخلف.

آه، يا لله، إنها تشعر براحة بالغة. وتنفست بصمت، مستسلمة لسحر لمساته.

بعد عدة دقائق، لم تستطع منع نفسها من القول: «أنت تفعل ذلك بشكل جيد جداً».

فشعرت بشفتيه تلامسان كتفها: «أرجو لا يكون هذا هو الشيء الوحيد الذي أجيده».

أحست بالهزل في صوته، وأخذ نبضها يعلو عندما اكتسحت جسدها الأحاسيس.

ـ ماذا تريد؟ أضع لك درجة عشرة على عشرة؟

فضحك: «لا سمح الله».

تعانقا والبهجة تتملكها لهذه القوة التي تملكها في التأثير فيه.

نامت بعد ذلك، وعند منتصف الليل نزلا إلى المطبخ ليستعيدا طاقتهما بشيء مملّ كالطعام.

* * *

٩ ـ رحلة الأحلام

تناولا الفطور على «القيراندا» فكان ذلك طريقة مريحة لبدء النهار.. رشفت دانييل قهوتها وهي تسرح بنظراتها بين الحدائق. إن كدح أنطونيو في المروج والنباتات تظهر عناية وأناقة فائقتين، وتأثير ذلك كان مذهلاً، وكانت ساعات عمل الزوجين تتطابق مع ساعات عملها، وهذا يعني أنهما يدخلان البيت بعد خروجها، وتعود هي إليه بعد خروجهما.

كانت «توراك» ضاحية راقية بيوتها مزيج بهيج من القديم والحديث، بعضها تحيط به الأراضي الفسيحة.

ولم يكن بيت ريف بالمستثنى، فالجدران العالية تجعله يبدو منفرداً منعزلاً رغم قرب الضاحية من المدن.

قال لها وهو ينهي قهوته: «لدي أسبوع من الاجتماعات في بارس ولندن، وسنذهب غداً».

إشراكها معه ملأها مرارة: «المفروض أن تتحدث مع أمي و«لين» لكي تستعدا للعمل مكاني، فالقضية كلها هي (إنجاز عمل)».

أمال رأسه وهو يجيب: «هل كنت تفضلين أن نضيّع الوقت بالمناقشة؟».

ـ ألا تمنحني حق الرفض؟

قال بشيء من الهزل: «أتريدين أن ترفضي؟».

فتحت فمها، ثم عادت فأقفلته. باريس، إنها تريد هذه الفرصة السانحة لزيارة دور الملابس الداخلية.

وبدت على شفتيها ابتسامة بهيجة: «ومن يعترض على رحلة إلى باريس؟».

حتى في الجوّ القارس البرودة في الشتاء، تحتفظ باريس بسحرها.

* * *

تجاهلت دانييل الجو الضبابي الرطب وهي تقفل معطفها وتلف وشاحها الصوفي حول عنقها.

لقد مضت خمس سنوات على آخر زيارة لها إلى باريس، وهناك أماكن تريد أن تعرفها... معارض فنون، ضفاف السين، المقهى المفضل لديها الذي ما يزال في خيالها منذ إقامتها المؤقتة تلك في هذه المدينة الرائعة.

قد تكون السماء غائمة، لكن مزاجها متألق كقوس قزح.

إنها تحب جوّها الخاص وتاريخها العريق..

لن يهمها أن يكون ريف مرتبطاً باجتماعات عمله طوال النهار. فهناك متحف اللوفر ونوتردام، ولن تكتمل الزيارة إلى باريس دون رؤية المدينة من أعلى برج إيفل...

تنهدت وأسرعت الخطى، تريد أن تستغل كل لحظة من الأيام التي ستمضيها هنا.

عمّ قلبها البهجة لأنها ستستطيع التسوّق، ومع أنها كادت تجن عندما أعطاها ريف بطاقة حساب باسمها، فقد قاومت إغراء التسوّق.

كانت الساعة قد جاوزت السادسة عندما دخلت فندقها الفخم في جادة «الشانزليزيه» واستقلت المصعد إلى جناحهما.

وجدت ريف هناك، وقد خلع سترته وفك رباط عنقه.

ألقى نظرة واحدة على وجنتيها المتوهجتين وعينيها المتألقتين، ثم تقدم نحوها يعانقها عناقاً طويلاً.

ـ هل أمضيت يوماً حسناً؟

ـ كان رائعاً، وأنت؟

ومنحته ابتسامة احتوت قلبه.

ـ الفرنسيون يحبون المساومة.

ـ وكذلك الإلحاح.

ـ يمكنك أن تقولي ذلك.

ـ وأنت لا تذعن.

وكان هذا تقرير واقع أكثر منه سؤالاً.

ـ لا.

إذا عُقدت الصفقة، فهي على شروطه هو.

وضعت دانييل أكياس التسوّق على كرسي، ثم أخذت تفك أزرار معطفها.

دس ريف يديه داخل المعطف الدافىء، وجذبها إليه وأخذ يحك أنفه تحت أذنها: «تعالي وشاركيني الدوش».

كان يريدها، يريد حلاوتها، وأكثر من كل شيء آخر كان يريد أن يلاشي نفسه فيها، أن يحتضنها وينسى مؤقتاً إحباط هذا النهار.

ثم عاد فصمم على أن يرتديا ثيابهما المناسبة ويذهبا للعشاء في مكان ما، فيأكلان الطعام ثم يعودان إلى الفندق.

ـ أنا لست واثقة من أن هذه فكرة جيدة.

حك بشفتيه خدها: «لا؟».

ـ لا أريد أن أخرج من هذا الجناح.

ـ وهل هذه مشكلة؟

ـ هذه باريس.

قالت هذا ببساطة وكأنما قالت كل شيء. وأخذ هو يضحك بصوت خافت لحظة قبل أن يعانقها..

بادلته عناقه، ثم لم تعد تستطيع منع نفسها من التجاوب معه..

ـ حذار، يا حبيبة.

ثم عاد إليها بشغف وقوة كادت تكتسحه هو قبلها هي.

بعد ذلك بنصف ساعة خرجا يتمشيان في الشارع في الجو البارد المنعش. كان بإمكانهما، أو ربما كان عليهما أن يدخلا أحد مطاعم الفندق بدلاً من أن يغامرا بالخروج.

وعلى كل حال، المطاعم الفاخرة كانت على امتداد الشوارع. ولم يكونا بحاجة إلى السير بعيداً قبل أن يدخلا إلى مطعم فاخر حيث طلب ريف، بفرنسية لا عيب فيها، من رئيس الندل أن يجد لهما مائدة.

كان الطعام فاخراً، ومدحت دانييل ذلك وهي ترفض الحلوى وتطلب القهوة.

بدا ريف وكأنه هرة شبعانة.. أو فهد مرقط ناعم الشعر، كما شبّهته، واعية إلى القوة الكامنة تحت البذلة الإيطالية التفصيل، والقميص الأبيض المنشّى.

مجرد تفكيرها في ما يمكنه أن يفعل بها، جعل قلبها يخفق خفقات غريبة.

وكان هو يعلم. يمكنها معرفة هذا من لمعان عينيه والتواء فمه.

ـ دانييل؟ دانييل آلبوا؟

كان الصوت مألوفاً، وملامح الرجل أيضاً.

ـ جان كلود؟

شاب صوتها عدم تصديق، ثم ضحكت من حلقها رافعة وجهها

لتتلقى قبلة تحية منه على كل خد، وكانت عيناها تلمعان: «لا أصدق هذا».

ـ أنا الذي لا أصدق أنك عدت إلى باريس، يا عزيزتي.

ونقل نظراته بينها وبين ريف ثم سألها: «ألن تعرفينا ببعضنا البعض؟».

ـ طبعاً. جان كلود سيبير. ريف ڤالديز.

قال ريف ببطء مؤكداً امتلاكه لها: «زوجها».

أحست دانييل بتحذير خفيف في لهجته، فعجبت لذلك.

ـ جان كلود هو صديق قديم. اجلس معنا، أرجوك. كنا على وشك أن نطلب قهوة.

تعود صداقتهما إلى سنوات خمس على الأقل. وكان هو شهماً تماماً معها.

ـ هل أنت واثقة يا عزيزتي من أنني لا أتطفل عليكما؟

ونظر إلى الرجل الذي يضع خاتماً في إصبعها، وتساءل عما إذا كان من الحكمة أن يزعجه.

أشار ريف إلى الكرسي الخالي: «تفضل».

ـ والآن أخبرني يا ريف، كيف استطعت أن تحصل على هذه المخلوقة الحلوة؟

ـ بتقديمي لها عرضاً لم تستطع أن ترفضه.

ـ فهمت.

ـ أرجو أن تكون فهمت حقاً، يا صديقي.

قال ريف هذا بلهجة مطاطة وهو يرفع يده مشيراً إلى النادل بأن يحضر قهوة.

ـ مر وقت طويل منذ أن رأيتك لآخر مرة.

قال جان كلود هذا وهو يهز كتفيه ويتابع: «ومع ذلك لم تكن

المدة طويلة، ولكنك أروع جمالاً الآن».

ومنحها ابتسامة دافئة.

قالت بابتسامة خبيثة: «وأنت أكثر تزلفاً».

ـ آه، أنت تعرفينني جيداً.

قالت تخاطب ريف الذي كان ينظر إليهما: «جان كلود كان طالب فنون في السوربون. وقد تعارفنا عندما كنت أجول في متحف اللوڤر. كان مصمماً على أن يشعل النار في العالم بفنه».

سأله ريف بتكاسل زائف: «وهل فعلت؟».

ـ ليس في العالم، وإنما في قسم صغير منه فقط.

سألته دانييل مداعبة: «صغير إلى أي حد، يا جان كلود؟ فأنت كنت متواضعاً دوماً إلى حد لا يصدّق».

ـ أعمالي معلقة في بعض معارض الفنون.

جاء النادل بالقهوة، فأضافت دانييل إلى قهوتها شدة وسكراً، بينما تناولها الرجلان سادة.

ـ إلى متى أنت باقية هنا؟

ـ عدة أيام فقط.

قال ريف له هذا فرأى الخيبة على وجهه.

ـ أخبرني عنك، هل تزوجت؟

ـ لمدة قصيرة، زواجنا لم ينجح. وأنا الآن أدفن نفسي في عملي.

ـ أنا آسفة.

ـ نعم. أصدق أنك آسفة.

أنهى قهوته، ثم وقف وأخرج من جيبه ورقة مالية وضعها على المائدة.

أزاحها ريف جانباً، رافضاً لها، لكن الرجل الفرنسي لم

يأخذها: «عن إذنكما».

ولامس خدها بيده: «إلى اللقاء يا عزيزتي».

ثم حيا ريف وانصرف.

أخذت تنظر إليه وهو يسير على الرصيف، ثم رفعت فنجانها ترشف منه: «لا. لم يكن».

قالت هذا بهدوء تجيب عن نظرات ريف الهادئة، متحدية.

لم يتظاهر بأنه لم يفهم: «هل أحببته؟».

أجابت بهدوء: «كان يساعدني عندما أحتاجه. لقد وقعت في حب رجل ظننته أحبني لنفسي ولكن ما اكتشفته أنه كان مهتماً بإرث آل «آلبوا». في ذاك الوقت تعرفت إلى جان كلود الذي لملم قطع المشاعر المحطمة وساعدني على تمالكها من جديد؟».

كانت عيناها صافيتين، بشبه غمامة من ذكريات الألم، فأضاف ريف صامتاً بأنه وقع في غرامها.. وتساءل إن كانت تعلم بذلك: «يبدو أنني أسأت الحكم عليه».

ـ ولن تسنح لك فرصة لتعديل رأيك.

ـ ألم تبقي على اتصال به؟

قالت ببساطة: «ما كان ذلك بمثابة إنصاف له».

استدعى ريف النادل ودفع الحساب: «هل نذهب؟».

تمشيا فترة، يتوقفان هنا وهناك، متفرجين على واجهات المحلات. كان الليل يفيض بالحياة وبالناس الجالسين في المقاهي حيث روائح الطعام والقهوة تعبق في الجوّ.

كان ثمة نوع من انعدام الزمن، وذبذبات لم تعرفها في أية مدينة أخرى في العالم. ربما هي الآن تنظر إليها بمفهوم جديد، لكنها تبدو مختلفة.

أو ربما هي التي تغيرت. فإدراكها أن الكرامة والاستقامة هما

أهم من الأملاك والأصدقاء الزائفين، قد غيّرها كثيراً.

كان الوقت متأخراً حين عادا إلى جناحهما في الفندق. سار ريف نحو منضدة الكتابة وفتح حقيبة أوراقه: «سأعمل لفترة».

ـ هذا حسن.

ستنام في السرير، راجية أن تكون نائمة حين يأتي لينام. وهكذا كان، وبعد ذلك بساعة وقف ينظر إلى ملامحها بهدوء، واعياً إلى جمال روحها الداخلي. لقد جذبته إليها بعنف، موقظة شيئاً في أعماقه.

* * *

مرت الأيام التالية بسرعة أكثر مما ينبغي، حيث لم يكن هناك ما يكفي من الوقت للقيام بكل شيء.

العودة إلى اكتشاف المدينة كان عملاً منعشاً ذلك أن دانييل جددت معرفتها بما هو مألوف لديها وابتهجت بما هو جديد.

ما أروع أن تمضي هنا شهراً بدلاً من ثلاثة أيام! وعلى كل حال، استطاعت أن تعثر على متجرين راقيين للملابس الداخلية حيث أخذت فكرة عن طراز ملابس الفصل القادم الداخلية.

كان هناك الكثير مما عليها أن تراه وتقوم به، وهذا ما منعها من التسكع في المقاهي المنتشرة في الشوارع. وكل مساء كانت تعود إلى الفندق فتستحم وتغير ملابسها وتتعشى، ثم تعود إلى اكتشاف المدينة في الليل مع ريف الذي كان يرافقها ويرعاها.

وبسرعة أكثر مما تحب، عادا إلى لندن حيث أمضيا يومين وليلة قبل أن يعودا إلى وطنهما.

* * *

رن جرس التليفون، فتركت دانييل المانيكان في واجهة المتجر التي كانت تُلبسها، واتجهت إلى التليفون. فقد كانت أمها مشغولة

في غرفة القياس مع زبونة.

ـ مساء الخير. متجر «لافام»، دانييل تتكلم.

ـ هل تلقيتم أي سراويل بديلة؟

كان صوتاً نسائياً يسأل.

إنها زبونة من جهنم: «استطعت أن أشتري نفس اللون والطراز والحجم أثناء وجودي في باريس. إنها هنا لأجلك، يمكنك أخذها متى شئت».

ساد صمت قصير استوعبت فيه المرأة قولها: «سآتي غداً».

هذا عظيم، فقد بدا لدانييل أن المرأة مستعدة لإثارة مشكلة. فقد أعادت زوج سراويل اشترتهما أثناء العرض، مصرة على أن شقاً صغيراً كان في الدانتيل حين اشترته، وهو شيء تعلم هي وأمها أنه غير صحيح، لأن كل قطعة تتعرض لفحص دقيق حين الاستلام، وهي لا تضاف إلى رفوف البضاعة قبل فحصها.

وهذا يعني أن الشق حدث بعد الشراء، وسواء أكان هذا عملاً متعمداً أم تعرض لحادث، فهذا قابل للأخذ والرد.

لقد دار بينهما حديث طويل واتهام مغرض عن الإهمال في الصناعة واتهام «لافام» بأنه يبيع بضاعة رخيصة بماركة زائفة وبثمن مرتفع.

لقد أزعجها ذلك الاتهام، وجعلها تضاعف الاحتياط. لو كانت الزبونة كريستينا، لكان الدافع لذلك واضحاً. ولكن الشكوى في الأيام العشرة الماضية جاءت من امرأتين مختلفتين.

وكان شيئاً يبعث على الإطمئنان عندما مرت عدة أيام دون تورط مع أي طلب خاص، أو إعادة قطعة بزعم أن فيها عيباً أو أي شكوى.

ازدهر المتجر، وخرج الكاتالوج إلى الضوء، وعلى المستوى الاجتماعي، كان الأسبوع هادئاً تماماً.

ـ هل لديك مانع في أن أدعو آريين إلى العشاء؟

ألقت دانييل هذا السؤال أثناء تناولهما طعام الفطور صباح الجمعة، فنظر إليها متفحصاً.

ـ الليلة؟

ـ فكرت في يوم الأحد، إلا إذا كانت لديك خطة أخرى.

وقضمت لقمة من الخبز المحمص أتبعتها برشفة قهوة.

ـ لا بأس بيوم الأحد.

ـ أنا سأطهي الطعام. أتشك في أن بإمكاني ذلك؟

قالت جملتها الأخيرة مغضنة أنفها عندما رأته يرفع حاجبه.

ـ وهل عنيت أنا غير ذلك؟

لأجل هذا فقط، ستطهي شيئاً غريباً لا يمكن تصديقه!

وأنهى قهوته ونهض واقفاً: «لا تنتظريني للعشاء».

ـ وأنا لن أكون في البيت، فهذه الليلة نتأخر في البيع.

قالت هذا تذكره، ثم تبعته خارجة من الغرفة، حيث تناولت سترتها وحقيبتها، ثم سارت في إثره إلى الكاراج.

* * *

ـ هممم... هناك رائحة شهية.

تمتم ريف باستحسان وهو يدخل المطبخ عصر يوم الأحد. بدت غاية في الظرف في الشورت والقميص دون أكمام. وكانت قد جعلت شعرها على شكل ذيل حصان، وتركت وجهها بلا زينة وكان هناك على خدها رشة طحين.

تقدم إليها يجذبها إليه، وإذا به يتلقى لطمة على ساعده، لكن ذلك لم يكن له أدنى تأثير وهو ينحني يقبلها. وتملكه الرضا وهو يرى نظرتها الجامدة لولا أنها تمالكت نفسها بشكل أسرع مما يحب.

ـ إذا كنت تريد البقاء في المطبخ، فكن نافعاً. هل تريد أن تغسل

هذه أم تجففها؟

وأشارت إلى مجموعة من الأواني الوسخة.

وكان قد عمل ذات يوم في غسل الأواني في عدة مطاعم وذلك مقابل الطعام، فقال: «اذهبي وسوّي من شأنك».

ولم تضيع وقتاً، وعندما عادت بعد عشر دقائق، كان المطبخ قد عاد إلى مظهره النظيف المتألق.

وصلت آريين في الخامسة فسألت ابنتها إن كانت تريد أي مساعدة ولكن دانييل شكرتها.

كانت وجبة فاخرة استحقت الجهد تماماً، وتناولا فيما بعد القهوة على «الفيراندا».

كان الهواء نقياً، والسماء صاحية قاتمة مرصعة بالنجوم، وكرهت دانييل أن تعترف بأنها، منذ وقت طويل، لم تشعر بمثل هذا الاسترخاء.

* * *

١٠ ـ هل يحبني؟

سألت آريين باهتمام: «هل أنت واثقة من أنك لا تمانعين إذا خرجت باكراً؟».

سألتها دانييل باسمة: «منتصف الأسبوع والساعة الخامسة؟ لن تندفع الزبونات فجأة إلى المتجر. اذهبي، يمكنني أن أغلق المكان وحدي».

بعد ذلك بخمس وعشرين دقيقة، نظرت دانييل في ساعتها، ثم أوقفت أنغام الموسيقى. بعد دقائق يمكنها أن تقفل الباب الأمامي، وبقية الأبواب ثم تغادر.

سيكون حر النهار مزعجاً حالماً توقف مكيّف الهواء. وفكرت في بحيرة ريف الداخلية في البيت، الباردة المنعشة. وتلهفت إلى السباحة فيها عدة أشواط قبل الدوش وتغيير ملابسها للخروج إلى معرض لفن النحت، وهو عرض خاص لنخبة من الزبائن وجامعي أعمال النحاتين.

وجنح عقلها إلى محتويات خزانة ثيابها. دوماً اللون الأسود أكثر تعبيراً، ولكن ربما..

وإذا بصوت الجرس الداخلي الالكتروني يدهشها، فنادراً ما يدخل المتجر أحد في هذه الساعة.

كان الشاب الذي يركب الدراجة النارية يضع الخوذة.. لم يكن

www.liilas-romancia.com

في مظهره ما يجعلها تخشاه. فقالت له وهي تتقدم نحوه: «أية خدمة؟».

ربما جاء بالنيابة عن صديقة له، ولديه قائمة بالحجم واللون والطراز أو يتذكر ذلك.

فأشار إلى «المانيكان» في الواجهة: «هل لديك ذاك السروال الأسود، مقاس عشرة؟».

لم يستغرق منها فتح الدرج وإخراج السروال سوى دقائق. ثم تحولت إلى مكتب البيع للفه وربطه ثم وضعه في الكيس الذي كان مطبوعاً عليه ماركة الشركة البائعة.

وإذا بيدين قويتين تمسكان بذراعيها تلويانهما إلى الخلف فصرخت مذهولة: «ماذا تفعل بحق الله».

ـ اخرسي.

لا بد إنه لص، ولكن عليها اللعنة إذا هي استسلمت دون قتال.

وبحركة سريعة من كعب حذائها أصابت المشتري، سمعت بعدها شخرة حادة منه وهو يدفعها إلى الأرض.

أخذت تقاومه عبثاً، شاعرة بالكره للسهولة التي استطاع بها أن يبقيها مكانها على الأرض. لقد أمسك بيديها الاثنتين بقبضة واحدة، وكانت في وضع يتراوح بين الجلوس والركوع على الأرض.

ودون تفكير، مدت رأسها إلى ساقه وغرزت أسنانها في فخذه.

ثم صرخت بألم لأن أصابعه شدتها بشعرها تبعدها إلى الخلف بعنف ثم صفعها صفعة تجاوب صداها على وجهها.

ـ كلبة.

ودمعت عيناها لقوة الصفعة.

ـ خذ المال واذهب.

سمعت صوت قطع شريط خيط الربط من بكرته، متبوعاً بشخرة

ساخرة، وقاومت كالنمرة قبل أن يفلح آسرها في ربط معصميها معاً.

وشعرها الذي كان ملوياً على رأسها، أصبح الآن منحلاً منهاراً، كما تمزقت أنفاسها.

قرّب وجهه من وجهها: «حاولي ذلك مرة أخرى، وستتمنين الموت عند ذاك».

فقذفته بنظرة هي مزيج من الغضب والازدراء.

ـ ألا تقولين شيئاً؟

قال هذا بعنف وقسوة ومد يده يحيط بذقنها بحركة ذات معنى.

ـ إياك أن.. تلمسني!

وكان غضبها حقيقياً.

ابتسم بهدوء أثيم: «حاولي أن تمنعيني».

رفسته في آخر محاولة له لتؤذيه ولكنه أمسك بساقيها، ثم ربط كاحليها بالخيط، فاستحال عليها القيام بأية حركة من ركبتيها فأخذت تشتمه.

نظرت إليه وهو يفتح درج النقود ويضع الأوراق المالية والنقود المعدنية في جيبه، ثم ينحني ليمسك بذقنها بقبضة من يعاقبها: «في الوقت الذي تحصلين فيه على مساعدة، أكون أنا قد رحلت منذ زمن طويل».

وجرف السروال يلقيه على الأرض، ثم اختفى من الباب.

تخلصت دانييل من حذائها، ثم سارت نحو التليفون بقدر ما يسمح لها به الشريط الذي يقيّد قدميها. تباً لذلك، من كان يظن أن شريط الربط بهذه القوة والفعالية.

لو تمكنت من فتح درج وإخراج مقص، فقد تتمكن من تحرير نفسها.

استغرق ذلك وقتاً، لكنها استطاعت ذلك. أولاً، كان كاحلاها،

ثم ساقاها وفخذاها. انزلق المقص مرة تاركاً خدشاً سيئاً.

أمكنها، على الأقل، أن تقف على قدميها وتصل إلى التليفون. إدارة الأرقام لم تكن سهلة، وضغطت على رقم خطأ فاضطرت إلى إعادة الكرة.

أجاب ريف بعد الرنة الثالثة: «ڤالديز».

قالت بهدوء: «هناك شخص سلب المتجر لتوه. أنا بحاجة إلى أن أبلغ الشرطة».

سمعته يشتم: «هل أنت بخير؟».

كانت غاضبة ترتجف: «نعم».

ـ أنا قادم.

ووصل في خمس دقائق.

وكانت أثناء ذلك قد استطاعت أن تتصارع مع المقص الذي أدخلته في الشريط الذي يقيّد معصميها وشقته. استوعب المشهد بنظرة واحدة.. فبدت ملامحه قناعاً ثلجياً وهو يتقدم إليها.

وكانت عيناه داكنتين إلى حد بالغ وهو يرى البقع الحمراء على وجنتيها من أثر الصفعة: «لقد آذاك».

ـ كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ.

أحاط وجهها بيديه، وأخذ يمر أصابعه على وجنتيها برفق ثم انحنى يقبلها. كانت قبلة حنوناً شعرت معها بأنها تتمزق.

ـ أخبريني.

أخبرته بكل شيء بهدوء، رغم أن صوتها اهتز قليلاً عندما رفع شعرها عن وجهها.

ـ لا بأس، فلنستدع الشرطة.

نفوذ ريف ضمن أن يصل ضابط الشرطة في سرعة قياسية. وفي الواقع، لم يكن هناك ما يمكن عمله سوى تسجيل الواقعة في ملف

ووضع تقرير بها. لم يحدث خراب للمتجر. والمال المسلوب يعادل مئة دولار، ولأن السارق كان يلبس قفازات جلدية لم يكن هناك أثر لبصمات أصابع. ولأنه كان يلبس خوذة على رأسه، لم يكن بإمكانها تمييز ملامحه جيداً.

قاموا بالتحريات اللازمة، وسألوا كل شخص يحتمل أنه رأى شيئاً، ولكن ذلك لم يسفر عن شيء. والحادثة كلها ستنتهي كغيرها من الحوادث المسجلة ضد مجهول.

كان ريف يودع الضابط خارج الباب عندما رأى دانييل تتناول حقيبة يدها وتتبعه إلى الباب: «سأراك في البيت».

نظر إليها بحدة: «الأفضل ألا تسوقي سيارتك».

ـ لماذا؟

ـ إسمعي مني يا عزيزتي.

ـ أنا بخير.

وكانت فعلاً كذلك. مع أنها تشتبه في أن اللص لم يكن يتصرف بصورة عشوائية بل تبعاً لخطة مقصودة.

رأى التصميم واضحاً على ملامحها، ولمح شيئاً وراءه، فقرر أن يرجئ ملاحقة ذلك إلى ما بعد، أما الآن، فهو يريدها بعيدة عن هذا المكان.

كان عليه أن يقوم بعدة اتصالات لكي يحقّق الأمن لها. قام بالأول من تليفونه الخليوي وهو يلحق بها إلى البيت، وسره أن يعلم أن إرشاداته ستنفذ في اليوم التالي.

وقفت السيارتان في الكاراج الفسيح، ثم صعد بها ريف إلى شرفتهما، وملأ حوض الحمام ماء ثم تقدم إليها.

أخذ يفك أزرار سترتها فضربته على يده: «يمكنني أن أخلع ثيابي بنفسي».

ـ نعم، يمكنك ذلك.
ـ سنتأخر عن العشاء.
ـ نعم، سنتأخر.
ضمها إلى صدره فزغرد قلبها له.
بإمكانها أن تغمض عينيها وتسلمه نفسها ليذهب بها حيث يشاء.
زفر من بين أسنانه وهو يرى الخدش المستطيل في باطن فخذها، ورأت غضبه وهو يتفحصه.
ـ لقد انزلق المقص من يدي وأنا أحاول أن أقطع الشريط.
فضاقت عيناه: «هل لمسك؟».
ـ ليس بالمعنى الذي تعنيه.
وفي الواقع، كاد يرسل الرجفة في كيانها.
شعرت بنفسها في الفردوس وهي تميل إليه فتسدل أهدابها وتستسلم.
شعرت به يتحرك ثم يمشط شعرها بأصابعه، فتمتمت مسرورة. ثم أدارها إليها لتواجهه وقبلها.
لم يكن هناك طلب.. مجرد رقة بالغة جعلتها تودّ لو تبكي.
اقتربت منه تحيط عنقه بذراعيها تطلب الاطمئنان والدفء منه.
أن يحميها ويحبها هذا الرجل لأمران غير موجودين بين الأشياء التي عرضها عليها. وما حصلت عليه حالياً يكفي، أما أن تتطلع إلى المزيد فهو جنون.
وببطء، رفعت رأسها تحك أنفها بأنفه.
كانت ابتسامتها تحمل عبثاً حقيقياً وهي تنهض: «هل نسيت أن علينا أن نذهب إلى معرض «داكتار»؟».
ـ سأتصل بهم وأعتذر عن عدم الذهاب.
وضعت إصبعها على فمها: «أنا أحب أن أذهب».

ـ هل ستخبرينني لماذا؟
ـ قد أكون مخطئة.
ـ وإذا لم تكوني؟
ـ أريد أن أتصرف بالنسبة للأمر.
ستفعل هذا ولكن مع العون الكثير.
غداً سيكون هناك كاميرات خفية تُنصب أمام وخلف المتجر، إضافة إلى زر إنذار يدق رأساً في مركز رجال الأمن. وأيضاً حارس يكون موجوداً من وقت فتح المتجر إلى وقت إغلاقه. وسيقوم هو بتحرياته الخاصة، فإذا كان هناك شخص يريد أن يخيفها، فسيجعله يدفع الثمن غالياً. لكنه قبل ذلك يريد أن يطمئن إلى أن كل الاحتياطات الواجبة موجودة، بصرف النظر عن قبولها بذلك أو عدمه.
كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة عندما دخلا المعرض.
دُعي إلى هذا المعرض صفوة الصفوة من المجتمع. النساء تألقن بملابسهن الفاخرة وأخذن يعرضن مجوهراتهن التي تطلبت وجود حارس من رجال الأمن.
أحسنت دانييل في إخفاء العلامة الموجودة على وجنتها اليسرى بمواد الزينة، وكانت قد اختارت ثوبها بعناية فائقة، عالمة بأن اللون الوردي المتألق يكشف لون بشرتها، ولأنها رغبت في الظهور بمظهر أنيق، كومت شعرها على رأسها بشكل منحرف وثبتته بمشط مزخرف، ولم تضع أي مجوهرات.
أخذت دانييل تطوف المعرض، فتقف هنا وهناك متأملة التماثيل المعروضة.
لم يتركها ريف قط. وسجّل في ذهنه عودتها إلى قطعة معينة من البرونز علوّها من الثمانية عشر إلى العشرين إنشاً، موضوعة أمام عدة

مرايا مقعرة وبذلك كانت تبدو كل زواياها.

ـ إنها مذهلة.

قالت هذا ببساطة. تصورتها في المتجر عندها موضوعة على قاعدة رخامية على شمال مكتب القبض وخلفها ستارة حريرية ناعمة، مثيرة للإهتمام.

نظرت إلى الثمن وشحب وجهها. ستحتاج إلى أن تزيد قيمة تأمين المتجر لكي يغطي ثمن هذه المنحوتة.

ـ ريف، دانييل، ما أجمل أن أراكما مرة أخرى!

التفت ريف وابتسم لليليان ستانيش مرحباً. ثم قال بظرف: «عذراً ليليان. . سأتغيب عنكما دقائق. . ».

قالت ليليان متأملة: «إنه شخصية هامة، أليس كذلك؟».

ـ نعم.

وافقت دانييل على ذلك برزانة، وسمعت ليليان تقول ضاحكة: «تبدوان زوجين سعيدين، يا عزيزتي».

ـ سأخبر ريف بما قلته.

ـ أنا أخطط لحفلة خيرية أخرى الشهر القادم. وسأحرص على إرسال تذاكر لكما.

ـ أرجو أن تكون آربين من المدعوات؟

ـ طبعاً يا عزيزتي.

ـ شكراً.

ـ والآن، عن إذنك.

عندما أصبحت وحدها، نظرت إلى المنحوتة بكآبة، ثم انتقلت إلى القطعة التالية المعروضة. بعد ذلك بثوانٍ، دفعتها غريزتها إلى النظر في أرجاء المعرض، وهناك رأت قواماً أخاذاً في ثوب أحمر، كريستينا.

إذا كانت الشقراء دهشت لرؤية دانييل، فقد أخفت هذا جيداً. وبعد ثوانٍ من تشابك الأعين، رفعت دانييل يدها تحييها تحية صامتة. ثم أخذت تنظر إليها وهي تتقدم نحوها: «لم أتوقع أن أراك الليلة».

اتسعت عينا دانييل متعمدة: «هل هناك سبب خاص لذلك، يا كريستينا؟».

ـ كيف كانت باريس؟

ـ رومانتيكية بالرغم من سوء الجوّ والبرد والمطر.

ـ مدينة العشاق.

ـ نعم.

ـ لا تقعي في حبه، يا عزيزتي، إنه مهلك.

أصبحت ابتسامتها متألقة بالرغم من الحقد الثلجي البادي في هاتين العينين الرماديتين الباردتين.

لمحت دانييل ريف في اللحظة التي التفتت فيها الشقراء قليلاً ومنحته ابتسامة قاتلة.

ـ كنا نتحدث عنك لتوّنا.

وضع ذراعه حول خصرها، فشعر بتوترها: «علينا أن نذهب إلى البيت. هل لديك مانع يا عزيزتي؟».

ـ كريستينا تريد كوب عصير.

ـ سأستدعي النادل.

وفرقع بأصابعه، وفي لحظة برز النادل.

ـ مفسد المتعة.

تمتمت دانييل بهذا بهدوء، فشعرت بضغط أصابعه يزداد.

ـ هل نذهب؟

قالت كريستينا ساخرة: «رباه، أبهذه السرعة؟».

قالت دانييل بابتسامة حلوة: «في ذهنه شيء مغرٍ».

ثم التفتت إليه: «أليس كذلك يا عزيزي؟».

لم تغفل الشقراء عن نبرة السخرية في كلمة (عزيزي) هذه، فلمعت عيناها بروح الانتقام لحظة قبل أن تنجح في تغيير ملامحها: «في تلك الحالة، ابتهجا، ولا بد أن نتصادف مرة أخرى في وقت قريب».

أخذت دانييل تنظر إليها إلى أن غابت عن الأنظار، كانت تشعر بصداع، وشعرت بضعف لا يصدّق.

ـ لقد بقينا هنا ما يكفي.

قال هذا بحزم، ولم تحتجّ وهو يقودها إلى المخرج.

وفي السيارة، مالت برأسها إلى الخلف وأغمضت عينيها، مسرورة بجو السيارة المعتم.

بعد ذلك بربع ساعة، دخلت إلى غرفة النوم وبدأت تخلع ملابسها، واعية إلى تفحصه لها وهو يخلع ملابسه، هو أيضاً.

ـ هل لك أن تخبريني بسبب ذلك كله؟

ـ لا.

قالت هذا ببساطة ثم سارت إلى الحمام، فغسلت وجهها ولبست قميصاً قطنياً مقفلاً. وعندما خرجت قدم إليها كأس ماء وحبتي دواء: «خذي هاتين واستلقي في السرير».

شعرت برأسها وكأنه منفصل عن جسدها. ابتلعت الدواء، ثم تسللت بين أغطية السرير.

آخر ما تذكرته كان ريف وهو يطفىء النور، ظلام الغرفة، ثم بهجة زوال الألم.

تناولا الفطور متمهلين على القيراندا، وتبعاً لإلحاح ريف، اتصلت دانييل بأمها وأخبرتها بما حدث مساء أمس، واستمعت إليها وهي تهتف مصعوقة، فأخذت تطمئنها قدر إمكانها. وقبل أن تضع

السماعة قالت: «نعم، طبعاً، سأكون موجودة هذا الصباح».

قال لها وهي تملأ كأس عصير: «لقد رتبت أمر وجود نظام أمني في المتجر».

توقفت يدها عن العمل، ثم وضعت إبريق العصير مكانه: «المعذرة؟».

ـ لقد سمعت ما قلت.

ـ لا حاجة لمثل هذا..

فقال بحزم: «يا عزيزتي المتفوّقة، لا أريد نقاشاً».

ـ إلى جهنم بعدم رغبتك في النقاش.

ـ فرقة رجال ستصل باكراً هذا الصباح، سيكون هناك بعض المقاطعة القليلة لعملكما.

شعرت برغبة في أن تضرب الأرض بقدمها إحباطاً لاستبداده هذا.

* * *

ـ هل أنت واثقة من أنك بخير؟

سألت آريين ابنتها باهتمام في اللحظة التي دخلت فيها هذه المتجر.

ـ أنا بخير.

وكررت هذا بحزم عدة مرات، شاعرة بنفسها كفرخ صغير مع أبوين بالغي اللهفة، ولكن لهفة ريف مناقضة للهفة الأب!

ـ عدة رسائل بالفاكس، يا عزيزتي. واحد من باريس مثبتاً استفسارنا، وآخر من المموّن يبلغنا بأن البضاعة ستتأخر.

ـ امنحيني لحظة أتفقد فيها البريد.

ـ لقد صنعت القهوة للتو.

رن جرس التليفون الالكتروني الداخلي، فسارت دانييل إلى

الباب تستقبل الرجل الذي دخل المتجر لتوه.

بطاقة عمله أثبتت مركزه مع رجال الأمن. ولم يكد الرجال يبدؤون العمل حتى دخلت شابة أنيقة مبرزة أوراق اعتمادها مصرة على أنها أبرمت اتفاقية مع ريف ڤالديز بصفتها ضابطة أمن داخل البيوت.

ـ لا أصدق هذا.

أعلنت دانييل ذلك بغضب وهي تسير إلى التليفون لتتصل بريف.

استمع إلى سبابها مسيطراً على أعصابه، ثم قال بحزم: «ماريس ستبقى.. انتهت القصة».

ـ لا أحتاج إلى حارسة لعينة!

ـ تعوّدي على هذا، يا دانييل.

ـ سنتحدث في هذا عندما أحضر إلى البيت.

ـ كما تشائين.

تملكها شعور بأن بإمكانها أن تتمنى كل ما تريد، لكن النتيجة هي واحدة، فأخذت تسبه مجدداً وهي تقفل الخط.

قالت ماريس: «أنا ملمّة بسجلك المختزن في الكومبيوتر، وأنا على معرفة بفن البيع، لذا يمكنني العمل مساعدة في البيع».

وأجفلت دانييل عندما بدأ أحد الرجال يدير مثقاباً كهربائياً.

سيصبح النهار جهنماً هنا!

أخذت تغلي غضباً بصمت. وعندما أخذت بعض الزبونات يسألن عن سبب وجود العمال عللت دانييل بأن هذا من أجل التصليحات.

لم يقتصر الأمر على جهاز أمني فقط، بل تعدى الأمر إلى كاميرات وضعت في الخلف وفي الصالون الرئيسي.

وقالت لأمها إن حراسة المتجر أصبحت أشد من حراسة بنك.

ـ يا عزيزتي، ريف يعرف مصلحتك جيداً. فقد كان مساء أمس سيئاً للغاية، ولكن كان يمكن أن يكون أسوأ بكثير.

تباً لذلك فهي تعرف هذا. وراء غضبها هذا شعور بالشكر له.

وعلى كل حال، لم يمنعها هذا من متابعة الهجوم الشفاهي بعد أن دخلت البيت بدقائق.

وجدته دانييل في المكتب، يعمل على أرقام على شاشة الكمبيوتر. وعندما دخلت أوقف العمل، ومال إلى الخلف من كرسيه ومنحها انتباهه الكلي.

ـ لماذا لم تستشرني؟

أتراها تدرك مبلغ جمالها عندما تكون غاضبة؟ نبذ الهزل وجلس مستعداً للقتال، وهو يراها تحاول كبح سخطها: «لا فائدة من الاعتراض، يا عزيزتي».

فقالت وهي تتقدم نحو المكتب: «لا بأس. سأتعوّد على جهاز الإنذار، وأقرّ بصحة وجود الكاميرات».

ثم مالت فوقه تحملق فيه: «ولكن ماريس؟ حقاً يا ريف، ماريس وجودها يقتلني».

قال باختصار: «ماريس موظفة عندي وأنا أدفع لها راتباً.. انتهت القصة».

اشتبكت عيناه بعينيها، فالتقطت دانييل أول شيء وجدته تحت يدها وقذفته باتجاهه وأخذت تنظر إليه معجبة وهو يتلقاه بهدوء ثم يضعه على المكتب.

وبحركة رشيقة، نهض ودار حول المكتب متوجهاً إلى حيث كانت تقف وهي تحملق فيه بتمرد.

ـ هل لديك شيء تريدين إثباته؟

ـ نعم، هذه المرة فقط أريد أن أراك مهزوماً ضعيفاً.

رفع يده يمسك بذقنها. متى أصبحت الرغبة والشهوة حباً؟ إنه لا يستطيع أن يعيّن اللحظة بالضبط. ولكن هذا ما حدث.

قال مترنحاً بكسل: «أنت نجحت الليلة الماضية. وأدركت أن هناك شخصاً يسارع إليك، خائفاً من أن يحلّ بك أذى».

ما الذي يريد أن يقوله؟ إنه يحبها ويهتم بها؟ وكادت هذه الفكرة تحطمها.

وقفت لحظة طويلة، غير قادرة على سلخ نظراتها عن نظراته.

هناك ما لا يمكن قراءته في هاتين العينين السوداوين، وشعرت بغضبها يتبدد: «أنا آسفة».

ابتسم، وأخذ يمر بإبهامه على شفتيها: «نعم، أنا أصدق أنك آسفة».

وأشار بيده إلى صندوق موضوع على منضدة بجانب النافذة: «اذهبي وافتحيه».

بقيت جامدة عدة لحظات، غير قادرة على تحويل نظراتها عن نظراته، ثم سارت نحو الصندوق وفتحته بحذر. كان فيه شيء مربوط.. أخذت ترفع من حوله الإسفنج، وما لبثت أن شهقت بصمت وهي ترى المنحوتة، ذات المرايا.

إنها المنحوتة التي أعجبتها في المعرض.

سألته غير مصدقة: «هل اشتريتها؟».

ـ ستبدو جيدة في المتجر.

أعادت دانييل سنادات الإسفنج إلى مكانها بحذر ثم التفتت تواجهه. ولم تعرف ما إذا كان عليها أن تبتسم أم تبكي: «شكراً».

كان يداعبها، وكانت تعلم ذلك.

هذه الليلة كانت هي التي مدت يديها له ورغم أنه وجد متعة كبرى في حركات أصابعها، كان هو الذي سيطر على الموقف.

ـ لماذا أنت الرابح دوماً؟

سألته هذا بصوت مبحوح، وسمعته يجيب بنفس الصوت: «لأنني أستطيع ذلك».

* * *

١١ ـ يد الشر

ـ تبدين شاحبة يا عزيزتي. هل هناك شيء؟

خاطبت آربين ابنتها بذلك بعد أيام.

ـ لا أظن ذلك. أشعر بتعب وهذا كل شيء.

ـ ربما تجهدين نفسك في العمل.

نظرت إلى أمها ساخرة: «ليس أكثر من المعتاد».

وكيف تخبر أمها بأن ريف يبقيها مستيقظة في الليل وغالباً ما يوقظها عند الفجر؟

ـ هل من الممكن أن تكوني حاملاً؟

فكرت دانييل قليلاً في ما يتعلق بهذا الأمر ثم هزت رأسها: «أشك في ذلك».

ومع ذلك ذهبت إلى صيدلية واشترت اختباراً للحمل. عندما جاءت النتيجة إيجابية ارتبكت كثيراً.

كيف يمكن أن تكون حاملاً؟ يا له من سؤال أحمق!

لكن موعداً مع الطبيب أثبت ذلك.

ـ ثمانية أسابيع.

قالت معترضة: «لا يمكن لهذا أن يكون صحيحاً».

ـ أؤكد لك هذا يا عزيزتي.

ـ لكن الدورة الشهرية حصلت معي ذلك الشهر.

ـ هل لاحظت أي شذوذ فيها؟

قطبت جبينها. لقد كانت خفيفة ودامت نصف الوقت المعتاد.

استمعت ذاهلة إلى الطبيب وهو يشرح لها الأمر طبياً. طلب منها فحص الدم، وأخذت ورقة الطلب. ثم نهضت مغادرة العيادة وفي يدها بطاقة مواعيد.

رباه.. طفل.. طفلها.

صدمها هذا الواقع وهي في طريقها إلى المتجر.

لا يمكنها أن تخفي هذا الأمر عن أمها. لأن لها الحق في أن تعلم، وريف أيضاً.

ـ آه، يا إلهي!

وبادرتها أمها حال دخولها: «الجواب نعم؟ أواه، يا عزيزتي.. ما أجمله من خبر!».

واحتضنت ابنتها بحماسة.

أحقاً؟ المفروض أن تكون سعيدة لتحقيقها البند الأول من الاتفاقية، فلماذا لا تشعر بذلك؟

هذا يعني أن هناك موعداً معيناً ينتهي فيه زواجها.

قالت لها أمها برقة وهي ترى اختلاط المشاعر على وجه ابنتها: «هل ستتصلين بريف لتخبريه؟».

ـ سأنتظر حتى الليلة.

ذلك سيمنحها وقتاً تتنفس فيه، وعلى كل حال، المحل مزدحم بالعمل وهذا ما لن يسمح لها بالتفكير.

وكان الأمر كذلك حين دخلت بيتها قبل السادسة بقليل.

لو كانت الظروف عادية لحجزت مائدة في مطعم مفضل لديها، ولألقت بالخبر بين الطعام اللذيذ وأضواء الشموع.

بدلاً من ذلك، تصارعت الكلمات في ذهنها طوال فترة العشاء

فتخلت عن محاولة العثور على الكلمات المناسبة وهي تدفع عنها طبق ثمار البحر.

ـ ألست جائعة؟

سألها هذا وهو يرى جهودها المتقطعة.

ـ ليس تماماً.

أخبريه!

ـ هل هناك ما يزعجك؟

لن تحصل أبداً على الوقت المناسب: «زرت الطبيب اليوم. أنا حامل».

ها قد فعلتها.

اشتعل شيء في عينيه السوداوين سرعان ما أخمده.

ـ وطبعاً هناك موعد معين للولادة؟

حدث الحمل في الأيام العشرة الأولى من زواجهما.

قالت بابتسامة باهتة: «في منتصف تموز. لقد اكتملت الآن المرحلة الأولى».

بقي صامتاً عدة ثوانٍ، كانت عيناه أثناءها تخترقان أعماقها: «ما هو شعورك؟».

آه، كيف يمكنها الإجابة عن هذا السؤال؟ خطر لها جواب وقح سرعان ما نبذته: «ممتاز».

ـ ستنتقلين طبعاً إلى عيادة طبيب نسائي وتخفضين ساعات عملك في المتجر.

ـ لا.

لم يتحرك، وبدا عليه جمود خطر أفلح في بعث قشعريرة باردة في جسمها: «لا؟».

كيف يمكن لكلمة واحدة أن تحدث مثل هذه الفوضى المدمرة

في المشاعر؟ فقالت: «أنا شابة ومعافاة، فإذا أوصى الطبيب بأنني بحاجة إلى عناية خاصة، فسيكون ذلك. أما بالنسبة إلى المتجر.. فأنا أنوي متابعة العمل إلى آخر المدة».

وبدا في عينيها الغضب: «إنه جسدي، والجنين ابني، خاصة في هذه المرحلة التي نحن متلازمان فيها».

عليها أن تبتعد عنه ولو مؤقتاً، فنهضت واقفة، تريد أن تبتعد عنه قدر الإمكان.

مدّ يده يمسك بها قبل أن تبتعد.

ـ دعني أذهب.

كان ذلك توسلاً انسلخ من أعماقها، لكنه تجاهله وهو يشدّها إليه: «جسدك، وطفلي أنا!».

قال ذلك بنعومة خطرة، وأمسك بيدها يضعها على بطنها ويغطيها بيده: «إنه ابننا».

كيف يمكنه أن يقول هذا؟ فهي ستحمل هذا الجنين سبعة أشهر أخرى، ثم تحبه وترعاه في كل يوم من أيام طفولته.. وبعد ذلك سيكون عليها أن تتراجع ولا تشاركه في سوى قسم صغير من حياته.

بدا لها من الجنون أن تبدأ بهذه التأملات والطفل لم يولد بعد.

وريف.. كيف ستحتمل هجره لها. كيف ستقف جانباً تنظر إليه وهو يتزوج مرة أخرى، جالباً أماً أخرى لـ (ابنهما)، ثم يسير في حياة منفصلة تماماً عن حياتها؟

والأسوأ من ذلك، كيف ستعيش من دونه؟

رباه..

صدمها إدراك ذلك ومزّق مشاعرها. أهو الحب؟ هل أحبته؟ لا، هذا مستحيل. تباً لذلك، فالحب لم يكن جزءاً من الاتفاقية!

لا بد أنها الهرمونات التي تحدث هذه المشاعر المدمرة.. جزء

من عقلها فسّر هذا منطقياً، ولكن الجزء الآخر بكى.

ـ سألغي خطتنا لهذه الليلة.

سمعت هذه الكلمات فهوى قلبها. ليلة الافتتاحية في المسرح حيث سيؤدي الممثلون أدوارهم بشكل ممتاز في مسرحية استرالية جديدة. كيف نسيت ذلك؟

التفكير في ارتداء ملابس جميلة وتأدية دور اجتماعي لم يصادف حماسة فيها. على كل حال، ذلك حدث هام وغيابهما سيكون ملحوظاً.

ـ لماذا؟ الحمل لا يجعلني زهرة هشة فجأة.

كادت ابتسامته الدافئة المتأملة تذيب قلبها. وارتجف فمها قليلاً عندما ضغط بشفتيه على جبينها.

ـ لم أتصور لحظة أنه سيجعلك كذلك.

دخلا المسرح قبل أن يبدأ التمثيل بعشر دقائق. وكانت التذاكر قد بيعت مسبقاً.

وعندما اختلطا بالآخرين شعرت بوجود ريف بقربها قوياً.

ـ ريف، دانييل، كنت آمل حضوركما.

رباه، إنها كريستينا. واعترفت دانييل بأنها تبدو رائعة بثوبها الحريري العاجي اللون. وكان مرافقها رجلاً لم تره دانييل من قبل. كبحت فكرة قاسية في أن الشقراء استأجرته لهذه الليلة.

ـ أعتقد أن جلوسنا سيكون معاً.

لم تكن تنقصها البراعة في الوصول إلى هدفها.

ولحسن الحظ، أعلن المذياع أن على أرباب المؤسسات أن يتخذوا مقاعدهم، فتخلص بهذا من تبادل أحاديث مهذبة.

وكان طبيعياً أن تُفلح كريستينا في الجلوس بجانب ريف، وأخمدت دانييل أفكاراً إجرامية وهي تجلس إلى يساره.

أمسك بيدها يشبك أصابعه بأصابعها، ولم يجفل حتى عندما غرزت أظافرها في راحته.

بدأت الأوركسترا بالعزف، وخفتت الأنوار، ورفع الستار.

حاولت دانييل أن تسحب يدها من يده فلم تفلح. فركزت نظراتها على خشبة المسرح وعلى الممثلين.

تضمن العرض ثلاث استراحات. في الاستراحة الأولى استأذنت للذهاب إلى استراحة السيدات، وهو شيء أصبحت مؤخراً بحاجة أكثر إليه.

وعندما عادت، اكتشفت أن كريستينا غارقة في حديث طويل مع ريف. رغم أن من الإنصاف القول إن الشقراء تقوم بكل الحديث.

انضمت دانييل إليهما، واتسعت عيناها قليلاً عندما رفع ريف يدها إلى شفتيه. وسألته فيما بعد وهما يعودان إلى مقعديهما: «ماذا كان هدفك من ذلك؟».

ـ التطمين.

ـ تطمينك أم تطميني؟

الفصل الثاني من التمثيل استحوذ على انتباهها، أو على أكثره. فقد كانت واعية إلى ما قد تكيده كريستينا، ومنعتها كبرياؤها من البحث عما إذا كانت أصابع الشقراء، بأظافرها المصبوغة، ملقاة على أي جزء من جسم ريف.

الحاجة مرة أخرى للذهاب إلى استراحة السيدات أثناء الاستراحة الثانية، جعلت دانييل تتساءل عما إذا كان ضعف المثانة هي لعنة المرأة الحامل.. وقررت أن تشتري كتاباً لتتعلم منه كل ما يرافق الحمل.

لم تجد زحاماً لحسن الحظ، ولكن عندما خرجت وجدت كريستينا تجدد زينة وجهها أمام إحدى مرايا الجدار.

لا بد أن هناك سبباً لوجود الشقراء، وليس هناك سوى تفسير واحد.

ولماذا تضيع وقتها؟

- ليست المصادفة على ما أعتقد هي التي جعلتك تتبعينني إلى هنا؟

- سيكون من المؤسف إذا أصيب المتجر «لافام» بنكسة.

- هل هو تهديد، يا كريستينا؟ إذا كان الأمر كذلك، فأنت ستكونين في أول القائمة إذا أخذت الشرطة تتحرى في حالة حدوث مزيد من المشاكل. وقد ينفعك أن تتذكري أن ريف هو صاحب المتجر وما يتعلق به.

- يا عزيزتي، أنا لا أفهم ما تتحدثين عنه.

- أحقاً؟

ضاقت عينا كريستينا: «أنت شاحبة قليلاً، يا عزيزتي، هل أنت متوعكة الصحة؟».

- ما كنت قط أصح مني الآن.

لم يكن هذا صحيحاً تماماً، ولكن كان عليها أن تلوي القاعدة قليلاً.

- قد يظن المرء..

وسكتت كريستينا واتسعت عيناها، ثم ضاقتا قليلاً: «هل أنت حامل؟».

- في الواقع، نعم.

بدا على وجه كريستينا خليط من المشاعر ليس بينها واحد جميل: «لماذا، يا كلبة؟».

- ليست هذه طريقة حلوة جداً لتقديم التهاني.

وانفتح الباب، فاغتنمت دانييل الفرصة للهرب.

كان ريف غارقاً في حديث مع ليليان، وشعرت بالراحة وهي تسمع رنين الجرس طالباً من كل شخص العودة إلى مكانه.

- لقد غبت طويلاً.

- استراحة السيدات مزدحمة.

خفتت الأضواء وعزفت الأوركسترا، وبدأ الفصل الأخير.

عندما عادا إلى البيت كان الوقت متأخراً. تثاءبت دانييل وهي تصعد السلم. كان هذا كل ما تمكنت من القيام به في الفصل الأخير، وحالما وصلت إلى غرفتهما، خلعت طقمها المسائي الأنيق، وغسلت وجهها من الزينة، ثم اندست في السرير.

- متعبة؟

سألها وهو يحتضنها، وعندما تمتمت تثبت له ذلك حك شفتيه بصدغها، ثم استعد للنوم.

* * *

كان نهاراً رائعاً ولكن بعض الغيوم شوهت السماء الزرقاء. ووضعت دانييل في ذهنها أن تتصل بالمموّن وهي تتمهل بالسيارة خارجة من الطريق المؤدي إلى المتجر، لتتجه إلى شارع «توراك رود» فقد كان طراز من السراويل والصداري المتناسبة معاً قد أحرز رواجاً لذا هي تريد المزيد من الكمية المطلوبة حالياً.

وفجأة أحست بشيء أزرق يندفع أمام نظرها كالبرق، ثم سمعت صوت احتكاك معدن بمعدن، بقوة تثير الأعصاب، وإذا بها تنقذف إلى الأمام.

حدث هذا بشكل غير متوقع، وبسرعة لم تدع لها مجالاً للتفكير، ولا بد أنها ضغطت غريزياً على المكابح، لأن السيارة قفزت، بعد ثوانٍ، عند المنعطف ثم وقفت على مسافة من عدة أشجار ضخمة متواجدة على جانب الشارع المشجر.

رباه!

جلست وهي ترتجف عدة ثوان، ثم انبلجت الحقيقة في ذهنها. فكت حزام المقعد من حولها، ونزلت من السيارة.

شعرت بقلق على السائق الآخر، ورغبت في فحص ما أصاب سيارتها من تلف.. كانت بحاجة إلى تسجيل التفاصيل لأجل شركة التأمين، ومن ثم الاتصال بالشرطة..

ـ هل أنت بخير؟

سمعت دانييل صوت رجل يسألها ذلك، يتبعه صوت رجل آخر، فنظرت حولها تبحث عن السيارة الأخرى، ولكنها لم تجد لها أثراً.

قال شخص ما: «ضرب وهرب، ابن الحرام».

بدا على وجهها عدم التصديق: «أنت تخدعني، أليس كذلك؟».

ـ عليك أن تجلسي، يا آنسة.

قبل أن أقع؟ لا، فأنا أقوى من ذلك. أرادت أن تطمئن نفسها بهذا الإيحاء ولكن الصدمة سلبتها، مؤقتاً، صوتها.

ـ سأستدعي الشرطة.

ـ وسيارة إسعاف.

ـ لست بحاجة إلى سيارة إسعاف.

قالت ذلك وهي تخرج تليفونها الخليوي. يجب أن تتصل بأمها وتخبرها بأنها ستتأخر.

ـ ابقي حيث أنت بالضبط، إياك أن تتحركي ولا يهم إذا كانت السيارة صالحة للسير.

طلبت منها أمها ذلك بعد أن سألتها إن كانت أصيبت بضرر.

ـ أنا..

وأوشكت أن تقول إنها بخير لكن أمها قطعت الخط قبل ذلك.

بدت الناحية الخلفية من سيارتها طبيعية بشكل لا يصدّق، فلم

يكن بها أي خدش.

وقفت سيارة الشرطة، وأنوارها تتألق، وبعدها بثوان وقفت سيارة ريف الجاكوار. وأغمضت دانييل عينيها لحظة لدى رؤيته.

الملاك الأسمر الطويل، أخذت تفكر في ذلك وهو ينزل من سيارته مستعداً لكي يمزّق شخصاً ما إرباً إرباً. لا بأس، ما دام لن يمزقها هي.

وصل ريف إليها أولاً، دون اهتمام بتجاوزه حدود السرعة لكي يصل إلى هنا، أو إيقاف السيارة بطريقة جعلتها تصدر صريراً حاداً، مما اضطر الشرطي إلى اعتراضه. لكنه تجاهل هاتين العينين الفولاذيتين وهما تقوّمانه فإذا كان هناك أية مشكلة فسيواجهها فيما بعد.

أما الآن فكل اهتمامه منصب على دانييل، وصحتها. ولم يهتم البتة بأن هناك من سيراه وهو يأخذ وجهها ويقبلها.

اطمأن قليلاً عندما شعر بتجاوبها معه، وازداد اطمئنانه عندما تخلصت من عناقه، وإن كان هذا لم ينفعها لأنه سرعان ما عاد يعانقها.

قالت تحتج بصوت خافت: «أكان ينبغي أن تفعل هذا؟».

أخذ يتفحص وجهها بملامح منحجرة وفك متوتر. ثم استرخى قليلاً عندما تبدّد التوتر الذي تملكه منذ اللحظة التي تلقى فيها مكالمة آربين التليفونية.

ـ نعم.

لمحت شيئاً واضحاً خافت أن تحدّده، ومضت لحظة غام فيها كل شيء من حولها.

هل توقف العالم عن الحركة؟ إنها تقسم بأن ذلك ما حدث.

ـ أنا بحاجة إلى بعض التفاصيل، يا آنسة.

وتبدّد السحر. التفتت فرأت الشرطي واقفاً على بعد ذراع. سمعت همهمات أصوات، ومن بعيد زعيق سيارة إسعاف.

ـ لا أريد سيارة إسعاف.

كررت دانييل قولها هذا ولكن لم يبد أن هناك من يسمع. وتنهدت، وبدأت تعود بتفكيرها إلى ما أدّى إلى لحظة الاصطدام.. التي لم تتخذ أي احتياط لها.

وقفت سيارة الإسعاف، وعانت من سلسلة من الأسئلة، ثم احتجت كثيراً عندما قال ريف بأن عليها الذهاب إلى المستشفى ولكنه لم يصغ إليها البتة بل أخذ حقيبتها من السيارة ووضعها في سيارته.

ـ فقط خذني إلى عملي.

دار بها ريف حول المنعطف، مدركاً أن أمامه خمس دقائق فقط قبل أن تدرك أنها غير ذاهبة إلى المتجر.

انفعلت للغاية كما كان يتوقع، وانفعل هو أيضاً، فرفع يدها إلى شفتيه قائلاً: «اخرسي».

إذا كان يظن أنه بهذه التحية الرقيقة سيكسبها، فهذا شيء آخر: «ليس بي أي سوء!».

فنظر إليها كابحاً ابتسامة: «أنت تداريننى».

تنهدت دانييل: «إلى أين نحن ذاهبان؟».

ـ وصلنا تقريباً.

كان هناك مستشفى خاص اتصل به مسبقاً لإدخال دانييل آلبوا ڤالديز في جناح خاص.

عندما قيل لها أن تخلع ملابسها وترقد في السرير قالت بصوت خافت: «هذه سخافة».

ألقت على ريف نظرة عابسة وهو يطوف الغرفة، ونظرت إلى الثوب القطني، هل يُربط إلى الأمام أو إلى الخلف؟ تباً لذلك. ما

كان ينبغي أن تكون هنا أبداً!

ـ دعيني أساعدك.

إنه هنا، يفك أزرار سترتها ثم يساعدها على خلعها ويلقي بها على الكرسي.

ـ يمكنني أن أقوم بذلك.

لم يهتم بكلامها. ودفعت يديه عندما مد يده ليفتح سحّاب التنورة: «أنت تقف في وجهي يا ريف، ابتعد عني».

ـ غير ممكن.

في هذه الأثناء دخلت ممرضة، فأشارت إلى ملابسها الداخلية: «هل أترك الملابس الداخلية علي؟».

ـ اخلعي كل شيء.

قالت الممرضة هذا ببشاشة وأشارت إلى ثوب المستشفى: «واربطي هذا إلى الخلف».

قالت دانييل وهي تستجيب: «ما أظرفها!».

كانت نتيجة الخفة والكفاءة سيلاً من الأسئلة والاختبارات تبعها زيارة من الطبيب النسائي.

ـ الجنين بأحسن حال.

ـ هل أذهب إلى البيت الآن؟

ـ غداً. سنبقيك هنا الليلة للراحة والبقاء تحت الملاحظة.

ـ هل هذا ضروري؟

ـ إنه احتياط.

طمأنها بذلك وهو يبتسم بحرارة ثم يغادر الغرفة وخلفه الممرضة.

ـ أحب أن أكون وحدي. هل لك أن تذهب من فضلك؟

قالت دانييل هذا بهدوء. وبدا لها ريف ضخماً في الغرفة، طويلاً

عريضاً يوشك وجوده أن يكتسحها.

تحوّل ريف عن النافذة والمشهد الذي كان يتأمله أسفل. هناك أسئلة ينبغي أن توجّه، طالباً أجوبتها. وهناك أيضاً مكالمات عليه أن يقوم بها.

سار إلى السرير، كابحاً الحافز الذي يدفعه إلى أن يضمها ويرضي نفسه بقبلة.

ـ سأعود فيما بعد.

أومأت موافقة، وعندما خرج مالت برأسها إلى الخلف وأغمضت عينيها.

ضرب وهرب. هذا يعني أن هناك محاولة لإيذائها عن عمد. كريستينا؟ أترى معرفتها بحمل دانييل مس شعور الغرور والعظمة لديها؟ وإذا كان هذا صحيحاً، فهل هي قادرة على إثباته؟

بعدما أحضرت الممرضة لها غداء اتصلت بها أمها تليفونياً، ووصلتها أزهار مع بطاقة من ريف، وأمضت وقتاً تتصفح فيه مجلات مختارة قبل أن تستسلم إلى نوم خفيف متقطع.

زارتها آريين بعد خروجها من المتجر متوجهة إلى بيتها، محضرة من المتجر كيساً يحتوي على قميص نوم.

ناولتها ذلك، مخفية لهفة الأم خلف ابتسامة حارة: «إنها لك. قميص المستشفى ليس حسن الشكل».

أبقت الحديث مرحاً، ولكنها لم تذكر لها أنها أخبرت ريف بكل شكوكها.. ثم غادرت المستشفى عندما أحضرت الممرضات العشاء. وعندما جاء ريف انتعشت دانييل ولم تقاوم عندما عانقها بقوة. ثم جذبها إليه وأخذ يداعب شعرها برقة فائقة جعلتها تطوق عنقه بذراعيها.

ـ هل تعشيت؟

كان سؤالاً مملاً لا يشبه ما كانت تريد أن تقول.

ـ فيما بعد.

وحملها بين ذراعيه إلى كرسي قريب جلس عليه ثم وضعها على ركبتيه.

ـ هل كنت مشغولاً جداً اليوم؟

ـ نعم.

لقد بدأ العمل على الفور، فجمع بعض الحقائق، ثم طلب الاجتماع بكريستينا التي حاولت اللجوء إلى الخداع والدموع، ولكنها أخيراً اعترفت بحبها له الذي لا يموت. وكان جوابه تحذيراً كالثلج، ونصيحة لها بأن تغادر المدينة في غضون أربع وعشرين ساعة أو تواجه دعوى قانونية سيرفعها عليها.

شعرت دانييل بالسرور في الاستلقاء بين ذراعيه، شاعرة بخفقات قلبه تطمئنها، متنشقة رائحة الكولونيا التي يفضلها.

ربما هي بسبب الصدمة تشعر بالتعب. ولكنها لم تعد تشعر بأن قضاء ليلة في المستشفى أمراً ممتعاً.

* * *

١٢ ـ السعادة بين يديها

ـ نحن بحاجة إلى الكلام.

وصلت دانييل إلى البيت منذ ساعة، وها هي تتناول الشاي مع شطائر.

كانا جالسين على القيراندا المطلة على الحدائق.

قال لها بصوت هادىء للغاية وملامح جامدة: «لدي سؤال واحد فقط. لماذا لم تفضي إليّ بالأمر؟».

تعلقت عيناها بعينيه: «ظننت أن بإمكاني مواجهة الأمر وحدي. ما الذي كنت تريده؟ أن أركض إليك، أتأنّ كالطفل مخبرة إياك عن كل قطعة من لؤم كريستينا؟ وأنّى لي أن أعرف أن بإمكانها أن تكون خطرة؟».

ـ لو أخبرتني عن محاولاتها للتسبب بالإزعاج، عند أول محاولة قامت بها لتوقف الأمر عند تلك المحاولة ولما عانيت الحزن على يديها.

وأمسك بذقنها يميل وجهها نحوه.

أخذ يمشط شعرها بإصبعه، متمهلاً على رقبتها ثم نقل إصبعه إلى أسفل عنقها.

تبدد الغضب بنفس السرعة التي بدأ بها، وأجابت بسرعة: «أرادت ما هو لي. تريدك أنت».

عانقها ريف عناقاً أذاب ضلوعها. ومضت فترة قبل أن يقول: «عندما أفكر..».

فوضعت إصبعها على شفتيه: «هذا لم يحدث، وأنا بخير. والجنين بخير، وسيكون لك ابن أو ابنة».

وأضافت بصمت أن قلبها سيتحطم حين ترحل أخيراً.

فاضت عيناه بمشاعر لم تستطع أن تفهمها تماماً: «أتظنين أن الطفل الذي تحملينه هو كل ما يهمني؟».

وأغمض عينيه ثم فتحهما مرة أخرى: «يا إلهي!».

ـ لقد عقدنا اتفاقية..

ـ إلى جهنم بتلك الاتفاقية.

ـ ما الذي تتحدث عنه؟

ـ أتحدث عنك.

لم تفهم. بل لم تجرؤ على التفكير في أنه قد يعني..

ـ هل لديك فكرة عما عانيته عندما اتصلت بي أمك لتخبرني بأنك تعرضت لحادثة سيارة؟

ـ أتصور أن القلق تملكك..

ـ هذا ليس قريباً من الحقيقة.

بدأ قلب دانييل يخفق بسرعة.

ـ رباه، كانت أسوأ دقائق مرت بي في حياتي. لو فقدتك..

ولم يستطع أن ينهي كلامه.

ومضت ثوانٍ لم تستطع هي أيضاً أن تنطق بكلمة. وأخيراً استطاعت أن تقول: «ماذا تحاول أن تقول؟».

لم يحاول أن يغلف قوله بكلمات شاعرية، فهناك فقط كلمتان مهمتان: «أنا أحبك».

ـ ريف..

ـ أنت أهم لدي من كل شيء أو من أي شخص في حياتي.

ليته يعني ذلك حقاً! فقالت بحذر: «أظنك تحت تأثير الصدمة».

ـ لدي شيء لك.

ومد يده إلى حقيبة أوراقه وأخرج منها مغلفاً مستطيلاً أخرج منه سنداً قانونياً: «اقرئي هذا».

أخذته من يده ومرت عليه بنظرة سريعة. لم يكن ثمة حاجة للشرح، لقد ألغى مفعول الاتفاقية التي بينهما بكلمات (ملغى وليس له أثر).. وعلى ورقة رأت إمضاءه وإمضاء المحامي.

ـ انظري إلى التاريخ.

وكان التاريخ قبل حادثة الاصطدام بيوم.

ـ كانت الخطة أن أعطيك هذا في اللحظة المناسبة.

عندما لمح الدمع في عينيها تأوه: «لا تبكي».

وأخذ ينظر بعجز إلى دمعة انحدرت على خدها.

سلاح المرأة الأكبر. وأخذها بين ذراعيه جاعلاً رأسها على صدره.

ـ اقترح الطبيب القيام بإجازة.

ومسح شفتيه بصدغها.

ـ إلى ساحل الذهب؟

ـ هل هذا ما تريدينه؟

رفعت ذراعيها تطوقان عنقه، وكان هو الذي خلّص عنقه منهما بحذر.

لقد فتح لها قلبه.. ولم تبادره بكلمة.. شعر لحظة بالألم لأنه توقع أن ترفض حبه، العلاقة الزوجية ليست حباً. ومع ذلك هو مستعد للقسم بأنها تهتم به.. وكل ما عليه أن يفعله هو أن يقنعها بأن ذلك كافٍ.

ـ أظنني بحاجة إلى أن أسمعك تقول ذلك مرة أخرى.

لم يكن هناك تكلّف في صوتها، وإنما مجرد تساؤل ورقة بالغة مست مشاعره بشكل لا يحدث له مع أي شيء آخر.

أحاط وجهها بيديه وجذبه إليه فاشتبكت عيناها بعينيه: «أحبك».

شعرت برغبة في البكاء، ولاحظ مغالبتها لدموعها. وارتجف فمها قليلاً ثم انفرج بابتسامة مرتعشة: «شكراً».

ـ لأنني أحبك؟

ـ لأنك منحتني أعظم هدية في الكون.

شعر بقلبه يلتوي، وشعرت هي بحيرته وعدم تأكده فوضعت إصبعها على شفتيه: «منحتني نفسك، وقلبك، وروحك. وسأختزنها جميعاً طوال حياتي».

قالت هذا برقة، واثقة من أن الدفء في هاتين العينين سيذيبانها. وشعرت بشفتيه تتحركان تحت لمستها، ورأت المشاعر سافرة على وجهه.

ـ أردت في البداية أن أكرهك، وظننت لفترة أنني فعلت هذا. ثم أدركت أن الحياة من دونك لن تكون حياة أبداً.

ورمت بإصبعها على ذقنه، وشعرت بالعضل يتقلص تحتها، ثم أخذت تلامس شفته السفلى: «أحبك».

تسارعت خفقات قلبه ومضت لحظات لا يستطيع الكلام. ولكنها لاحظت التغيّر على ملامحه، ورأت الحرارة الشديدة، والمشاعر العنيفة والحب السافر، وعجبت أن يكون هذ كله لأجلها.

وشاهدت أيضاً شيئاً هي مشاعر فطرية تصعد من القلب.

أخذ يضمها إليه معانقاً إياها بشغف وحب ثم شعر بتجاوبها..

رباه! إنه يريد أن يضمها ويضمها ليطمئن نفسه بأنها حية..

وملك له.

نهض واقفاً وهي بين ذراعيه، ثم صعد بها إلى غرفتهما، وفي الغرفة أخذ يلامس خصرها فشعر بالامتلاء الخفيف وكأنه بذلك أراد أن يطمئن نفسه إلى نمو الجنين في رحم أمه.

احتضنها طوال الليل، وكلما ابتعدت قليلاً، عاد فشدّها إليه، فلم يكن يطيق ابتعادها عنه لحظة.

زوجته، أم ولده، حياته، لقد ظن في لحظة مجنونة أنه على وشك أن يفقدها.

ولكنه غفا ولم ينتبه إلى الدقائق المسلوبة التي تسللت فيها دانييل من السرير مع بزوغ الفجر.

لبست الروب ووقفت تتأمله، تتملى من ملامحه القوية التي رققها النوم. كان هناك ظل للحيته النابتة ليلاً. وكادت تمد يدها تلامس وجنته، وأهدابه الكثيفة السوداء بأطرافها المعقوفة قليلاً المنسدلة على وجنتيه.

فتح عينيه بحركة واحدة سريعة، وبدت اليقظة في عينيه فجأة، ثم رآها فابتسم ببطء وعذوبة جعلتها تذوب.

وقال ببطء وصوت عميق مبحوح وهو يمد ذراعيه: «تعالي».

فقالت تداعبه: «لا. إن في عينيك تلك النظرة».

رأت أسنانه البيضاء وهو يسألها ضاحكاً: «وما هي تلك النظرة؟».

ومد يديه يشدّها إلى السرير.

ـ همم.. نظرة خطرة.

دفن فمه في تجويف عنقها الناعم، فأخذت تمشط شعره بأصابعها فقال: «ليس هناك طريقة للاستيقاظ من النوم أجمل من هذه الطريقة».

شعرت بالدم يسري حاراً في عروقها: «ستصبح هذه عادة».

ـ ضعي هذا في حسابك.

نهضا فيما بعد، فاغتسلا وتناولا الفطور على القيراندا. كان يوماً رائعاً بسمائه الزرقاء وشمسه الساطعة وجوّه المعتدل. وأخذت تفكر راضية في أن كل شيء في حياتها أصبح الآن كما تحب. لديها زوج يحبها وتحبه من كل قلبها. وابنهما ينمو في أحشائها بأمان وعلى ما يرام.

وسيستقلان الطائرة إلى الساحل الذهبي لقضاء أول إجازة لهما.

أخذت تفكر حالمة في روعة كل هذا، وهي تقضم الخبز المحمص وترشف شاي الأعشاب.

وهكذا كان. فقد أمضيا أياماً يتمددان بكسل على ضفاف البحيرة في ظل مظلة الشاطىء، ويستحمان أحياناً في البحيرة، أو يتمشيان على الشاطىء. وفي الليل كان لديهما بعضهما البعض.

احتوت هذه الإجازة على كل عناصر شهر العسل. وهناك، في شمس الصيف الدافئة، كان ممكناً أن يعتقدا أن الأشهر القلائل الماضية لم تكن موجودة وأن حياتهما معاً بدأت من هذه اللحظة فصاعداً.

تعرضا لمحن قاسية؟ ربما، لكنهما ربحا شيئاً غير عادي، وهي ستدافع عن ذلك حتى الموت.

آخر ليلة في إجازتهما أمضياها في تناول العشاء متمهلين، ثم التمشي على ضفاف البحيرة في ضوء القمر.

ـ أسعيدة أنت؟

رفعت وجهها إلى زوجها وقالت ببساطة: «نعم».

وشعرت بذراعه تشتد حول خصرها.

أراد أن يحتضنها ويقبلها ولا يتركها أبداً.

شبكت أصابعها بأصابعه: «هل أنت سعيد بما ينتظرنا؟».

قال مداعباً: «ساحرة».

ـ ذلك جزء من جاذبيتي.

ـ الأفضل أن نعود إلى الفندق.

ضحكت: «هل ستكون حريصاً عليّ إلى هذا الحد طوال مدة الحمل؟».

ـ ضعي هذا في حسابك.

قالت جادة: «ألن تعترض إذا عدت للعمل لفترة؟».

وكان ينتظر هذا السؤال منها: «لساعات قلائل يومياً. والأفضل صباحاً، ثم يمكنك الاستراحة بعد الظهر».

ـ لا بأس.

ـ لا بأس فقط؟

ابتسمت له بابتهاج: «نعم».

كان ذلك كل ما تريده.. لا، بل هناك شيء آخر، إنها تريد أن تعدّ غرفة للطفل وأن تشتري جهازاً كاملاً له.

ـ يا لهذه الليونة والخضوع!

قالت ساخرة تداعبه: «آه، حب رجل رائع يفعل الأعاجيب بالمرأة».

بدا الهزل في عينيه: «أريد منك أن تكوني تحت تصرفي».

ـ وأنا أعبدك حين تفعل ذلك.

ـ تعبدينني؟

تبدد الهزل واحتل الإخلاص مكانه فمسّ هذا فؤاده. وأضافت هي بهدوء: «لشدّ ما أحبك».

قال برقة: «أعلم هذا. وليوفقنا الله يا حبيبتي».

* * *

الخاتمة

جوان كارلوس رافائيل ڤالديز ولد مبكراً أسبوعين بعد مخاض طويل جعل الولادة متعثرة دون عملية قيصرية، وهذا ما أراح أباه الذي بدا مستعداً لتمزيق أجساد طبيبها والممرضات عضواً عضواً.

أخذ الصبي يصرخ بصوت عالٍ ولم يسكت إلا بعد أن وضعوه بين يدي أمه حيث أخذ يتثاءب ثم أخلد إلى النوم.

قالت دانييل لزوجها أن الطفل ورث طباع أمه (الهادئة)، مع أنه يشبه أباه كثيراً.

وهي دعابة أكسبتها نظرة تأمل طويلة ملؤها التعب ولكن هذه النظرة لم تصل إلى حد الهزل بسبب القلق البالغ الذي ما زال يعاني آثاره منذ ولادة الطفل.

فكرت دانييل في أن من الصعب العثور على أب أكثر منه شغفاً بابنه.

في الأشهر الثلاثة الأولى من حياته، أصبح كارلوس مركز عالمهما.

قالت وهي تنظر بشغف إلى ابنها: «أظنه بحاجة إلى أخت، أو أخ».

ورفعت بصرها وهي تلمح الصدمة المؤقتة التي لاحت في وجه زوجها، فعادت تقول: «وإلا أفسده الدلال. والواقع أنني كنت وحيدة

أبوي، ولطالما تمنيت أن يكون لي أخ أو أخت. ألم تكن أنت كذلك؟».

ـ دانييل..

قاطعته: «ألا تستطيع أن تتصور فقط فتاة صغيرة ذات شعر أسود جميل وعينين براقتين؟».

فقال بقوة: «لا. ليس الآن، لا أظن أن بإمكاني أن أحتمل..».

ـ رؤيتي أتألم؟ يا له من كلام فارغ! النساء تحمل بالأطفال منذ بداية الخليقة. والطبيب نصح بالعملية القيصرية في كل مرة ألد فيها.

كل؟ هذا بحاجة إلى مناقشة جادة.

قالت دانييل والمصور يجمعهم مع آريين ليأخذ لهم صورة عائلية: «سنتحدث عن هذا فيما بعد».

ولكن لم يتسن لهم الوقت لذلك حتى خرج الضيوف. جاءت آريين وتناولت العشاء معهم وعندما ذهبت أصبحا وحدهما.

قال وهو يأخذها بين ذراعيه: «حان وقتنا، يا حبيبتي».

ثم وضع فمه على المكان الحساس أسفل عنقها، شاعراً بالسرور وهو يحس بنبضها يقفز عند لمسه.

ـ كان يوماً شاقاً.

ورائعاً أيضاً، مليئاً بالبهجة والزهو، والضحك والحب. ولكن لا شيء يماثل هذا الحب الذي تشعر به نحو هذا الرجل.

كان هو كل ما تريده، وكل ما تمنته من الله.

أمسكت برأسه تشده وتقبله: «أحبك».

كان صوتها مبحوحاً بالمشاعر. وتسارعت خفقات قلبه وهو يشدها إليه.

في وقت ما تصاعد صوت من ناحية غرفة الطفل فجمدا في مكانهما، وتبعه صوت آخر، ثم استحال إلى نحيب.

ـ سأذهب أنا.

وتركها ريف، ثم لبس معطفه المنزلي وتوجه إلى غرفة الطفل.

غاب فترة، فتملكها الفضول وسارعت إلى ارتداء الروب وتبعته. وهناك، على الكرسي الهزاز، كان ريف جالساً محتضناً الطفل الذي كان غارقاً بالنوم على صدر أبيه.

قال لها برقة: «كان يشكو من الغازات، فغيرت له حفاظه».

ـ وصعب عليك أن ترقده في سريره.

قال بابتسامة سحرتها: «أنت تعرفينني جيداً».

قالت مداعبة: «إن رآك زملاؤك في دنيا الأعمال الآن فماذا سيقولون عن ذلك الرجل الصلب المراس والمعروف بعناده الذي لا يلين؟».

لمعت عيناه هزلاً: «سيحسدونني لأنني أسعد الرجال حظاً في العالم».

وكان يعلم أن هذا صحيح.

ونهض واقفاً بحذر، ثم وضع ابنه في سريره، وغطاه بحنان لوّع قلبها.

لم يتحرك جوان كارلوس. فخرجا معاً من غرفته بعد أن خفضا نورها.

وفي غرفتهما، جلس ريف على السرير وجذبها إليه، فوضعت خدها على رأسه وطوقت كتفيه بذراعيها: «هل أنت ضد فكرة إنجاب طفل ثانٍ؟».

ـ أنا أفكر فيك فقط، يا حبيبة.

قال هذا بهدوء فشعر بذراعيها تشتدان حوله.

ـ هذا بيت رائع، فيه مساحات كبيرة، ألا يمكنك أن ترى ثلاثة أو أربعة أولاد سود الشعر يستمتعون بما يمكننا أن نوفّره لهم؟

إنه لا يستطيع أن يرفض لها طلباً، لأن حياته لم تكتمل إلا بعد أن دخلتها. والحب.. ما أجمل أن يحب امرأة كهذه، فتبادله الحب!

- بعد سنة، يا حبيبتي، فلنستمتع سنة بابننا قبل أن تتوسّع أسرتنا.

حكت شفتيها بجبينه: «همم.. أحب طريقتك في تسوية الأمور».

رفع رأسه ينظر إليها مداعباً: «التسوية فقط، يا حبيبتي؟».

* * *

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة